سواء في القرآن
دراسة لغوية

أ.د. إبراهيم إبراهيم بركات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(سواء)
في
القرآن الكريم
دراسة لغوية
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد] .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على خاتمِ الأنبياءِ والمرسلين، سيدِّنا محمدٍ الأمينِ ، وعلى آلِه وصحبِه وتابعِيه أجمعين .

إذا كان النحاةُ قد بحثوا في معاني الحروفِ ، وما تتشعبُ إليه من دلالاتٍ ، فإن هناك بعضَ الكلماتِ في اللغةِ العربيةِ تحتاجُ إلى دراسةٍ متأنيةٍ شاملةٍ من خلالِ التراكيبِ اللغويةِ التي وردَتْ فيها ، حيث إنها لم تنَلْ حظَّهَا من البحثِ النحويِّ أو اللغويِّ ، وما جاء حولَهَا من ذِكْرٍ كان متفرقًا متشعبًا متناقضًا ، لا يستطاعُ لمُّ شتاتُه من أقوالِ النحاةِ ، والوصولُ إلى رأيٍ حاسمٍ من خلالِ ما ذكروه ، وهذا يستوجبُ اللجوءَ إلى دراسَتِها من خلالِ الواقِعِ اللغويِّ التراثِيِّ الذي وردَتْ فيه .

من هذه الكلماتِ التي وجدْتُ أنها جديرةٌ بالدراسةِ كلمةُ (سواءٍ) ، فإلى جانبِ ما ذكرتُه من حوافزَ لدراسَتِها ، فإن هذه الكلمةَ لها طبيعةٌ لغويةٌ ـ لفظية ودلالية ـ خاصة تستوجب نوعًا من التراكيبِ اللغويةِ الخاصةِ بها،كما تستدعى نظامًا لغويًّا معينًا.هذا بالإضافة إلى ما يدور حول تركيبها من متناقضاتٍ منذ أن دُوِّن النحو إلى واقعنا الدراسي في البحث النحويِّ .

هذا كلُّه يدفعني إلى محاولةِ خوضِ دراسةِهذه الكلمةِ دراسةً لغويةً ، على الرغم مما يكتنفُها من غموضٍ وتفريقٍ وقلةٍ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ووجدت أنَّ أجدرَ واقعٍ لغويٍّ تركيبي تدرسُ هذه الكلمةُ من خلالِهِ إنما هو كتابُ الله الْكَرِيم ، حيث وجدتُ أنها وردت فيه سبعًا وعشرِينَ مرةً ، في أنماطٍ لَغويةٍ متباينةٍ ، مما جعلني أتوقعُ أنَّ دراسَتَها من خلَالِ القرآنِ الكريمِ تؤتِي ثمارَها ـ بعونِ من الله .....

ولهذا فقد أسمَيْتُ هذه الدراسةَ :

(سواء) في القرآن الكريم

دراسة لغوية

حيث درست (سواء) من خلالِ ثلاثةِ أقسامٍ :

القسم الأول : التراكيبُ التي وردت فيها ، وتحليلها لغويًّا .

حصرت مواضعَ ورودها في القرآنِ الكريمِ ، ثم قسمتُها إلى أنماطٍ أو تراكيبَ ، وحللتُ كلَّ تركيبٍ من حيثُ : مدلولُ (سواءِ) فيه ، وتحليلُ التركيبِ لفظيًّا ومعنويًّا ، ثم عرضُ الجوانبِ النحويةِ لسواءِ وما تتعلقُ به من كلماتٍ في كلِّ تركيبٍ .

القسم الثاني : الخصائصُ الصرفيةُ والدلاليةُ ، حيث :

عرضتُ جذورَها ، وما جاء منه من ألفاظٍ في القرآنِ الكريمِ ، ثم دراسة كل مبني وما يقابله من دلالاتٍ ، مع التركيزِ على (سواء) ، فهي الغرضُ من هذه الدراسةِ .

ثم عرضتُ انتماءَها الاسميَّ ، فأصولَها الجذريةَ ، فإلزامَهَا الإفرادَ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القسم الثالث : الخصائص التركيبية :

حيث استعمالُـها : ظرفًا ، أو اسمًا مصدرًا ، أو صفةً ، أو فعلًا أو ما فيه معنَى الفعلِ ، مع عرضِ خصائصِ كلّ تركيبٍ ، والجوانبِ النحويةِ لسواءٍ فيه ـ بإيجاز ـ ، مع مناقشةِ ما لم يناقَشْ أثناء تحليلِ التراكيبِ .

وقد أفدت في هذه الدراسةِ بكتبِ التراثِ النحويِّ ، وكذلك الكتب المعاصرة ، وكانت إفادتي أوسعَ من خلالِ كتبِ تفسيرِ القرآنِ الكريمِ ، وكتبِ الأشباهِ والنظائرِ ، وكتب القراءاتِ ، والمعاجم اللغويةِ .

فإن كنت قد وُفِّقْتُ في جوانبِ من هذهِ الدراسةِ ، فهو بفضلِ الله ـ تعالى ـ وتوفيقهِ ، وإن كان الصوابُ قد جانبني في أمرٍ من أمورِهَا ، فحسبي أني قد أَقْدَمْت على دراسَتِها .

وحسبي اللهُ ونعم الوكيل .

إبراهيم إبراهيم بركات

مكة المكرمة

فبراير ١٩٨٨م

i

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القسم الأول
التحليل اللغوي
للتراكيب التي وردت بها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وردتْ «سواءٌ» في القرآنِ الكريمِ في سبعةٍ وعشرينَ موضعًا ، رأيْت أن أذكرَهَا مقسمةً إلى الأنماطِ التي وردَتْ فيها ، فكانت تسعة أنماطٍ .

ذلك على النحوِ التالي :

التركيب الأول

جارّ + سواء (مجردة)

وردَتْ كذلك في موضعَيْن :

في قولِه تعالَى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال:٥٨] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنبياء] .

* ذكرت (سواءٌ) مجردةً منونة مسبوقةً بحرفِ جر في الآيتَيْن الكريمتَيْن، وهي في كلا الموضعيْن فضلةٌ .

* وردَتْ (سواءٌ) في الموضعَيْن بعد كلامٍ يشملُ طرفَيْن يشتركان في حدثٍ ، وهما يتساويان في إحداثه :

فيخاطب اللهُ ـ تعالى ـ رسولَه الكريمَ ـ ﷺ ـ في الموضعَيْن ، حيث يعني ما يقوله له في الموضعِ الأولِ : أَلْقِ إليهم نقضَك العهدَ، لتكونَ أنتْ وهُمُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في العلمِ بالنقضِ سواء[١] ،أي : افعل كما يفعلون سواء[٢] ، أو : على طريقٍ مستوٍ قصد[٣] .

وفي الموضع الثاني : «أعلَمْتُكم فاستَوَيْنا في العلم»[٤] ، «أي : أعلمتكم وصرتُ أنا وأنتم على سواء ، وإنما يريد : نابَذْتُكم ، وعاديتكم ، وأعلمتكم ذلك ، فاستوينا في العلم»[٥] ، «أي : مستَوِين في الإعْلام»[٦] .

ونرى أن (سواء) في الموضعين فيها معنى التَّسَاوي[٧] .

لكننا نلحظُ أن معنى التساوي يتطلب أكثرَ من طَرَف ، وقد توافر ذلك في الموضعَيْن ، حيث الرسولُ ـ ﷺ ـ طرفٌ في التساوي مع مقابليه ، وهم الطرفُ الآخرُ في معنى ـ التساوي ، سواءٌ أكانوا قومًا يخافُ خيانةً منهم ، أم أكانوا المَتَوَلِّين عنه ، وجهةُ التساوي تُسْتَنْتَجُ من اللفظين : «انْبِذْ ، وآذَنْتُكُم» .

(على سواءٍ) في الموضعين شبهُ جملة ، وشبها الجملة في الموضعين تتماثَلان في الملابساتِ النحويةِ ، حيث يمكنُ أن توجهَ إعرابيًّا على النحوِ التالي :

---

(١) ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ١٨٠ .
(٢) الفراء ، معاني القرآن ١ ـ ٤١٤ .
(٣) الزمخشري ، الكشاف ٢ ـ ١٦٥ .
(٤) أبو بكر السجستاني ، تفسير غريب القرآن ١٧٣ .
(٥) ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ٢٨٩/ العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ٢ ـ ١٣٨ .
(٦) الزمخشري ، الكشاف ٢ ـ ٥٨٦ .
(٧) الشوكاني ، فتح القدير ٣ ـ ٤٣١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ قد تكون حالًا مبينةَ لهيئةِ المفعولِ والفاعلِ معًا ، أي : مستوين في العلمِ بما أعلَمْتُكم به[١] .

ـ ويحتملُ أن تكونَ في موضعِ الحالِ من الفاعلِ ، وهو النبيُّ عليه السلام ، ويحتملُ أن تكونَ حالًا من المفعولين وهم المخاطبون[٢] .

وقول الفراء في تفسيرها في الموضع الأول : «قوله : على سواء ، جهرا غير سر»[٣] ، يستنتجُ منه الحاليةُ ، وما دام لم يحددْ جهةَ الجهرِ ، فهو حالٌ للفاعل والمفعولين معا ، حيث كلٌّ من طرفي «على سواء» وهي التسوية قد جهرَ لصاحبِهِ بما جاء من معنًى في الآيتين الكريمتين .

ـ كما أن (على سواء) يحتمل أن تكونَ في موضعِ نصبِ نعتٍ لمصدرٍ محذوف ، أي : إيذانا على سواء[٤] .

التركيب الثاني

سواء (مضاف) + اسم ظاهر أضيف إليها

وردت (سواء) وقد أضيف إليها اسم ظاهرة في تسعة مواضع القرآن الكريم ، ولكنها في أربعة منها كانت منصوبة ، ذلك في الآيات الكريمة التالية :

١ ـ ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾[البقرة] .

---

(١) العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ٢ ـ ١٣٨ .
(٢) مكي بن أبي طالب ، مشكل إعراب القرآن ٢ ـ ٨٨ .
(٣) الفراء ، معاني القرآن ١ ـ ٤١٤ .
(٤) مكي القيسي ، مشكل إعراب القرآن ٢ ـ ٨٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ ـ ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ [المائدة] .

٣ ـ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص:٢٢] .

٤ ـ ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة] .

ووردت (سواء) منسوبةً إلى اسم ظاهر ، مسبوقةً بحرفِ جر في خمسةِ مواضعَ من الآيات الكريمة التالية :

٥ ـ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة] .

٦ ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة].

٧ ـ ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ [ص] .

٨ ـ ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ [الدخان] .

٩ ـ ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصافات] .

* تفسر (سواء) في هذه المواضعِ التسعةِ بأنها تعني (وسطَ) أو (قصدَ)،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويبدُو أن مدلول الاسم الذي أضيفَ إليها هو الذي يفرض أحدِ المعنيين.

ونلحظ أن الاسمَ الذي أضيفَ كان لفظَ «السبيل» في المواضعِ الستةِ الأولى ، ولفظَ «الصراطِ» في الموضعِ السابعِ ، وهو يعني الطريقَ ، ومدلولُ الطريقِ يتحملُ أحدَ التفسيرين أو كليهما ، فقد يكون المقصودُ من (سواء السبيل» وسطَ الطريق ، وعلى هذا جاء مجازُ أبي عبيدة ، فيذكرُ في الموضعِ الأولِ :

سواء السبيل أي : وسطُه ، قال عيسى بنُ عمرَ : مازلت أكتبُ حتى انقَطَعَ سوائي،أي: وسطي،وقال حسان بن ثابت يرثي عثمان بنَ عفَّان[١].

يـا وَيْـحَ أنصـارِ النبـي ونَسْـلِه بعدَ الْـمُغَيَّبِ في سَواءِ الـمُلْحَدِ[٢]

وقد يكون المقصودُ به: (قصدَ الطريق)، وعلى هذا جاء معاني الفراء[٣]، وتفسير وتأويل ابن قتيبة[٤].

ولهذا فإننا نجد من مفسري غريبِ القرآن مَنْ جَمَعَ بين الاتجاهين في المعنى[٥].

ولكن لـمَّا كان لفظُ (سواء) منسوبًا إلى (الجحيم) في الموضعَيْن

(١) ديوانه ٩٨/ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ١ ـ ٥٠/ تفسير الطبري ١ ـ ٣٣٨/ تفسير القرطبي ٢٠ ـ ٧٠/ اللسان ، مادة (سوى) .
(٢) أبو عبيدة ، مجاز القرآن ١ ـ ٥٠/ وانظر : ١ ـ ١٥٧/ البحر المحيط ٨ ـ ٢٥٣ .
(٣) الفراء ، معاني القرآن ١ ـ ٧٣ ، ٢ ـ ٤٠٣ .
(٤) ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ١٤١ ـ ٣٣٢ ـ ٣٧٨ .
(٥) انظر : ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ١٤١/ السجستاني ، تفسير غريب القرآن ٧٠ ـ ١٩٣ ـ ٢١٥ ـ ٢٥٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآخرين كان تفسيره بمعنى : (وسط) [١] لا غير .

* يثبتُ الفراءُ معنى آخرَ لسواء في مثلِ هذه المواضع ، حيث يذكر في الموضعِ الأولِ : «وقد تكون (سواءً) في مذهب (غير) ، كقولِكَ للرجلِ : أتَيْتُ سواءَكَ»[٢] .

لكن هذا المعنى لا يتلاءمُ مع (سواءٍ) في الموضعَيْن الأخيرَيْن ، حيث نسبها إلى الجحيمِ .

أما في المواضعِ السبعةِ الأُولَى حيث نسب (سواء) إلى (السبيل ، الصراط) ؛ فإننا نضطر إلى تأويلِ صفةٍ للسبيلِ والصراطِ تتلاءمُ مع المعنَى الكليِّ للتركيبِ الذي ورد أيٌّ منهما فيه ، وتكون هذه الصفةُ (المستقيمَ) مع معنى الضلالِ السابقِ حتى يكونَا متغايرين ، وهي (الضال أو غير المستقيم) مع معنى الهدايةِ في الموضعِ السابعِ ، حتى تتغايرَ معه ، كما قال تعالى : ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ [الصافات] .

والهديُ في هذه الآيةِ يختلفُ عن الهدي في الآيةِ المستشهدِ بها في الموضعِ السابعِ ذلك تبعا لفاعله ، لكن موضعَ الشاهدِ هو نسبةُ صراط إلى الجحيمِ ، كما نضطر إلى تأويل صفةٍ مغايرةٍ للهدايةِ في الآيةِ الكريمةِ .

لهذا فإنني أرى أنَّ (سواء) في هذهِ المواضعِ لا تفسَّرُ بغير ، حتى لا تلتبسَ المعاني .

---

(١) ارجع إلى:ابن قتيبة،تأويل مشكل القرآن ٣٩٧/ تفسير غريب القرآن ٣٧١ ـ ٤٠٣/ السجستاني ، تفسير غريب القرآن ٢١١/ تفسير القرطبي ١٥ ـ ٨٣٨/ البحر المحيط ٧ ـ ٣٦٢ .

(٢) الفراء ، معاني القرآن ١ ـ ٧٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإنما تفسرُ بالوسطِ ، وهذا المعنى يتلاءَمُ مع ما نسب إليه (سواءٌ) في المواضعِ التسعةِ السابقةِ من : السبيل ، والصراط ، والحجيم ، كما يتلاءمُ مع ما فسر به (سواء) في التركيبِ السابقِ ، حيث الاستواءُ ، وما الوسطيةُ إلا استواءً بين شقين لشيء ما .

* لا جدالَ في إعرابِ (سواء) في المواضعِ الخمسةِ الأخيرة ، حيث تسبقُ بحرفِ جر جار لها .

ولما فسرت (سواء) بمعنى (وسط) كان إعرابُها ظرفًا في المواضعِ الأربعة الأولى ، فجاءت منصوبةً على الظرفيةِ [١] .

ويكونُ النصبُ على الظرفية إذا تضمن الفعل المتعلقُ به (سواء) معنى (عرف) ، مضعفَ العين إذا كان (هدى) ، ويكون النصبُ على نزعِ الخافضِ والكلمة فيها معنى الظرفية إذا كان الفعلُ متعديًا إلى الثاني بواسطة حرفِ الجر ، حيث يقال : «هديته الطريقَ والبيتَ هدايةً ، أي : عرفته ، هذه لغة أهل الحجاز ، وغيرهم يقول : هديته إلى الطريق وإلى الدار»[٢] .

وقد ورد الفعلُ (هدى) في القرآنِ الكريمِ على وجهَيْن :

أولهما : جاء متعديًا بنفسه إلى مفعولَيْن ، ومنه قولُه تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة] .

---

(١) ارجع إلى :العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ١ ـ ٥٧ ـ ٢١١ .
(٢) ارجع : الصحاح ، مادة (هدى) ٦ ـ ٢٥٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيهما : جاء متعديًا إلى الثاني بواسطةِ حرفِ الجر ، وأكثر ما جاء على هذا باستعمال (إلى) ، كما في قوله تعالى : ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ [الحج] .

كما تعدّى إلى الثاني باستعمالِ (اللام) كما هو في قولِهِ تعالى : ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٣٣﴾ [الرعد] .

ونظرةً سريعةً إلى ما وردَ عليه الفعلُ (هَدَى) في القرآن الكريم نجد أن أكثرَ ما ورد عليه متعديًا بنفسه إلى المفعولَيْن .

ويبدو أن الفعلَ يباحُ فيه استخدامُ المدلولين ، وحينئذ يذكرُ حرفُ الجر بعده أَوْ لا يُذْكَرُ تبعا للمدلول المراد ، فإما أن يكونَ بمعنى المعرفةِ فيتعدى بنفسه ، وإمَّا بمعنى الإرشادِ والدلَالةِ فيتعدى إلى الثاني بواسطةِ حرفِ الجر .

ولهذا فإن (سواء) بمعنى (وسط) تنصب بعده على الظرفيةِ ، أو على نزعِ الخافض .

ومثلُ الفعلِ (هدى) الفعلُ (ضل) ، فهما متقابلان معنويا ، وبالتالي يتماثلان استعمالًا في التركيب .

«فالضلالُ والضلالةُ ضد الرشادِ .

وضلَلْتَ المسجدَ والدارَ إذا لم تعرف موضعَهُما ، وكذلك كلُّ شيءٍ مقيم لا يهتدى له .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهديتُهُ الطريقَ هداية ، أي : تقدمته لأرشدَهُ ، وكلُّ متقدمٍ لذلك هاد...»[(١)] وأرى أن مثلَ هذه القضايا تحتاجُ إلى نوعٍ من الدراساتِ الوصفية تحسمُ القول .

التركيب الثالث

(سواء مجردة خبر)

ذكرت (سواء) مجردةً مبنيةً على مبتدأ أو ما هو في حكمه في أربع آيات كريمة ، وكانت مبنيةً على المبتدأِ في موضعين من قوله تعالى :

١ ـ ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الروم:٢٨] .

٢ ـ ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [النحل] .

وآخران كانت فيهما مبنيةً على ما هو حكمُ المبتدأ ، من قوله تعالى :

٣ ـ ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران] .

٤ ـ ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء:٨٩] .

* تعني(سواء) في المواضِع الأربعة الاستواءَ ، ومعنى التركيبِ يشتركُ

(١) ارجع إلى : مقاييس اللغة ، (ضلل) ٦ ـ ٤٢/ الصحاح ، مادة (ضلل) ٣ ـ ٣٥٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في الموضعَيْن الأول والثاني ، حيث لا يشرك العبيد فيما ملكتم ، فتكونون سواء فيه[١] ، أو : يجعلون أموالَـهُمْ لعبيدهم حتى يكونوا والعبيدَ فيها سواءً [٢] ، وهي حجةٌ وقرعٌ لأولئكم المشركين ، حيث يتفقُ على معنى : إذا لم تشارككم عبيدُكم في المالِ فكيف تشركُون في عبادةِ اللهِ مَنْ هو مصنوع له ؟ أو : من هو عبدٌ له ؟[٣] .

وفي جملة (فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) في الموضعِ الثانِـي «قيل : هي جملةٌ استفهاميةٌ حذفَ منها الهمزةُ ، التقدير : أَفَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ؟ ، أي ليسُوا مستوِينَ في الرَّزْق»[٤] .

أما معنى التركيبِ في الموضعين الثالثِ والرابعِ فهو التساوي بين فريقَيْن :

إما بالإثباتِ كما في الموضعِ الرابعِ ، وإما بالنفي كما في الموضعِ الثالثِ باستخدام (ليس) ، وجهةُ التَّساوي هي الكفرُ في الموضعِ الثالثِ ، أما هيَ في الموضعِ الرابعِ فهو عدمُ التساوي بين أمةٍ صالحةٍ وأخرى كافرةٍ[٥] ، فليس المؤمنُونَ والفاسقون المتقدمُ ذكرهم سواءً[٦] .

* (سواء) في الموضعيْن الأولِ والثاني خبرٌ للمبتدأين «أَنْتُمْ ، هُمْ»[٧] .

---

(١) الفراء ، معاني القرآن ٢ ـ ١١٠ .
(٢) ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ٢٤٦ .
(٣) انظر : الفراء ، معاني القرآن ٢ ـ ١١٠/ العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ٢ ـ ١٨٦/ تفسير الطبري ١٤ ـ ٩٥ .
(٤) أبو حيان ، البحر المحيط ٥ ـ ٥١٥/ وانظر : الشوكاني ، فتح القدير ٢ ـ ١٧٨ .
(٥) الفراء ، معاني القرآن ١ ـ ٢٣٠ .
(٦) مكي القيسي ، مشكل إعراب القرآن ١ ـ ١٥٢ .
(٧) انظر : العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ٢ ـ ٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الموضعِ الثالثِ يذكرُ العكبري : «ليسوا : الواو اسمُ (ليس) ، وهي راجعةٌ على المذكورِينَ قبلَها ، وسواءٌ : خبرُها»[١] .

ويربط أبو عبيدةَ بين اسمِ (ليس) الواو وبين لغةِ : أكلوني البراغيثُ ، ولكن هذا بعيدٌ عند معرِبِي القرآنِ الكريمِ[٢] ، فقد تقدم ذكرُ من يعود عليهم الضميرُ في (ليسوا). في الآ يات السابقةِ،من بداية قوله تعالى:﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران] .

ويذكر القُرطبي: «وقال أبو عبيدةَ: وهذا مثل قولهم: أكلوني البراغيثُ، وذهبُوا أصحابُك ، قال النحاسُ : وهذا غلط ، لأنه قد تقدمَ ذكرُهم ، وأكلوني البراغيث لم يتقدمْ لهم ذكرٌ»[٣] .

ولهذا فإنَّ أبا عُبَيْدةَ يعودُ فيقول : «وقد يجوز أن يجعلَه كلامَيْن ، فكأنَّك قلت : ليسوا سواء من أهل الكتاب ، ثم قلت : أمة قائمة»[٤] .

ولكن خبريةَ (سواء) للفعلِ المضارعِ الناقصِ الناسخِ (تكون) متضحةً في الموضع الرابعِ .

(١) السابق ١ ـ ١٤٦ .
(٢) السابق ١ ـ ١٤٦/ مكي القيسي ، مشكل إعراب القرآن ١ ـ ١٥٢ .
(٣) تفسير القرطبي ٤ ـ ١٧٦/ البغدادي ، خزانة الأدب ٤ ـ ٣٨ .
(٤) أبو عيدة ، مجاز القرآن ١ ـ ١٠٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التركيب الرابع

سواء (مجردة منونة) + شبه جملة

وردت (سواء) مجردةً من الإضافةِ والتعريفِ منونة يتعلقُ بها شبهُ جملة في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فُصِّلَت] .

يذكر ابنُ قتيبةَ : « قال قتادةُ : من سأل فهو كما قال اللهُ»(١) . أي : مَنِ استفهم عن استفهم عن الأمرِ وحقيقةِ وقوعِهِ ، وأراد العبرةَ منه ، فإنه يجدُه كما قال اللهُ تعالى(٤) .

ومعنى (سواء) في هذا الموضعِ فيه الاستواءُ ، لكن الاستواءَ يوجَّهُ تبعا لقراءتها بين النصبِ والخفضِ والرفعِ .

فقرأ بالخفضِ زيدُ بنْ علي والحسنُ وابنُ أبي اسحاق وعمرُو بنْ عبيد وعيسى ويعقوبُ ، أما الرفعُ فقد قرأ به أبُو جعفرٍ ، وقرأ الباقُون بالنصبِ وهو الأكثرُ شهرةً وشيوعًا ، فالقراءُ المشهورون على النصبِ لا غير(٣) .

فمن جر جعل (سواء) صفةً لأيام ، أو : لأربعةِ ، أي : في أربعةِ أيامٍ مستوياتٍ(٤) . ومن نصبَ كان ذلك من وجهَيْن :

---

(١) ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ٣٨٨ .
(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٤ ـ ٦٣ .
(٣) ارجع إلى : الفراء ، معاني القرآن ٣ ـ ١٢ ـ ١٣/ الأخفش ، معاني القرآن ٢ ـ ٤٦٥/ مكي القيسي ، المشكل ٢ ـ ٢٧٠/ العكبري : إملاء ما من به الرحمن ٢ ـ ٢٢١/ إتحاف الفضلاء ٣٨٠/ ابن الجزري ، النشر ٢ ـ ٣٥١ .
(٤) سيبويه ، الكتاب ٢ ـ ١١٩/ الأخفش ، معاني القرآن ٢ ـ ٤٦٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولهما : الحالية ، وأرى أنها تكونُ حالًا من الأقواتِ ، كما ذكر الفراءُ : «ومن نصبها متصلةً بالأقواتِ[١] أي : أن تقديرَ الأقواتِ يستوي فيه السائلُون .

وقد تكون الحاليةُ من الضميرِ في أقواتِها، أو: فيها، أو : من الأرض[٢].

ثانيهما : المصدريةُ ، والتقدير : استوت استواءً .

أما من رفع ، فعلى وجهين :

أولهما : الابتدائيةُ ، وشبه جملة (للسائلين) هي الخبرُ ، بمعنى : مستويات لمن سأل[٣] .

ثانيهما : الخبريةُ المبنيةُ على مبتدأٍ محذوفٍ ، ويقول به الأكثرُون ، والتقديرُ : هي سواء ، أو : ذلك سواءٌ للسائلين ، أو : هو سواءٌ .

يقول سيبويه في باب ما ينتصب لأنه ليس في اسم ما قبله ولا هو هو : «ومثلُ ذلك هذا درهمٌ سواءٌ ، كأنه قال : هذا درهمٌ» استواء ، فهذا تمثيلٌ وإن لم يتكلمْ به ، قال ﷻ ـ ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ [فُصِّلَت] ، وقر قرأ ناس : « في أربعةِ أيامٍ سواءٍ » قال الخليلُ : « جعله بمنزلةِ مستوياتٍ .....»[٤] .

---

(١) الفراء ، معاني القرآن : ٣ ـ ١٢ ـ ١٣ .
(٢) العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ٢ ـ ٢٢١ .
(٣) مكي القيسي ، مشكل إعراب القرآن ٢ ـ ٢٧ .
(٤) سيبويه ، الكتاب ٢ ـ ١١٩/ وانظر : الفراء ، معاني القرآن ٣ ـ ١٣/ العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ٢ ـ ٢٢١/ أبو حيان ، البحر المحيط : ٧ ـ ٤٨٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التركيب الخامس

سواء (نعت) + متعلق بسواء

(شبه جملة + و + شبه جملة)

وردت (سواء) مجردةً نعتا لنكرة ويتعلق بها شبها جملة مرتبطتان بواو العطف في قوله تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٤] .

تفسر كلمةُ (سواءٍ) في هذا الموضعِ طبقا للقراءةِ التي وردَتْ عليها[١]، حيث يقرأ الجمهورُ بالجر ، وهي ـ حينئذ ـ صفةٌ لكلمة ، ويعنى بها : النَّصَفُ ، يقال قد دعاكِ لإلى النصَفِ فأقبل منه[٢] ، كما يقال : دعاك إلى السَّوَاء ، أي : إلى النَّصَفَة وسواءُ كل شيء وَسَطُه ، ومنه يقال للنصَفَة سواء ، لأنها عدلٌ ، وأعدلُ الأمور أوسطُها[٣] فهي في ذلك : عدلٌ ونصف[٤].

ويذكر الأخفشُ التصريحَ بمعنى الاستواءِ في (سواء) وهي صفة مجرورة لكلمة في هذا الموضعِ حيث يقول :

«وإن شاء أن يجعلَهُ على الاستواءِ ويجر جاز ، ويجعله من صفةِ الكلمةِ ،

---

(١)انظر : في القراءات الواردة فيها : الأخفش ، معاني القرآن ١ ـ ٢٠٦/ الفراء ، معاني القرآن ١ ـ ٢٢٠/ الزمخشري ، الكشاف ١ ـ ٤٣٥/ أبو حيان ، البحر المحيط ٢ ـ ٤٨٣/ العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ١ ـ ١٣٨ .

(٢) أبو عبيدة ، مجاز القرآن ١ ـ ٩٦ .

(٣) ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ١٠٦ .

(٤) السجستاني ، تفسير غريب القرآن ٥٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مثل الخلْق ، لأن الخلْقَ قد يكون صفةً ....» [١] .

ويذكر الفراءُ :«وهي في قراءةِ عبدِ الله : (إلى كلمةٍ عدلٍ بيننَا وبَيْنكُم) ، وقد يقال في معنى (عدل) : سوى وسوى ....» [٢] .

وجاء فيها قراءةٌ بالنصبِ ونُسِبَتْ إلى الحسنِ ، وهي تخرج ـ حينئذ ـ على أنها مصدرٌ ، فيذكر الأخفشُ : «ولو أراد استواء لكان النصب »[٣] ، ويصرح غيرُه بالنصبِ على المصدرِية[٤] .

التركيب السادس

(سواء) مجردة منونة + شبه جملة + اسمان مبهمان بينهما واو العطف

وردت (سواء) مجردةً من التعريفِ والإضافةِ منونةً يتعلقُ بها شبهُ جملةٍ مقرونة باسمين مُبْهمين يدلال على العمومِ ومفصولان بحرفِ العطفِ (الواوِ) في قوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد] .

وتعني (سواء) في هذا الموضعِ الاستواءَ ، فيكون : أنه من أسر القولَ ومن جهر به فاللهُ ـ تعالى ـ يعلمُه ، أي : أنه يعلمُ الظاهرَ والسرَّ ، وكل

(١) الأخفش ، معاني القرآن ١ ـ ٢٠٦ .
(٢) الفراء ، معاني القرآن ١ ـ ٢٢٠ .
(٣) الأخفش ،معاني القرآن ١ ـ ٢٠٦ .
(٤) ارجع إلى : مكي القيسي ، مشكل إعراب القرآن ١ ـ ١٤٣/ العكبري : إملاء ما من به الرحمن ١ ـ ١٣٨/ كشاف الزمخشري ١ ـ ٤٣٥/ أبو حيان البحر المحيط ٢ ـ ٤٨٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«عنده سواء ، أو : سواء في عمله المسرُّ بالقول والجاهرُ به لا يخفى عليه شيءٌ من أقواله»[١] ، يلحظُ أنَّ ما ذُكِرَ بَعْدَ (سَوَاءٍ) اسمانِ موصولانِ منفصلانِ بواوِ العطفِ، والاسمُ الموصولُ مبهمٌ لا يبين مدلولُه إلا بصلتِه، كما يجوزُ أن ينتقلَ من مسمى إلى آخر[٢] .

يتعلق إعرابُ (سواء) في هذا الموضعِ بإعرابِ الاسمِ الموصولِ بعدها ، ويذكر اللغويون والمفسرون إعرابَها على ثلاثةِ أوجه[٣] :

أولها : أعربوا (سواء) خبرًا مقدما ، و(مَنْ أَسَرَّ) والمعطوف عليه مبتدأً مؤخرًا .

والتقدير : ذو سواءٍ منكم من أسرَّ منكم من أسرَّ القولَ .... ويجوز أن تكونَ (سواء) بمعنى (مستوٍ) فلا تحتاج إلى تقدير حذف (ذو)[٤] .

فأما (منكم) فيجوزُ أن يكون حالًا من الضميرِ في (سواء) ، لأنه في موضعِ (مستوٍ) .

ثانيها : أن يكون (سواءٌ) مبتدأً ، و(مَنْ أَسَرَّ) والمعطوف عليه الخبر ، ويذكر أبو حيان : «وقولُ ابنِ عطية أن سيبويه ضعَّف ذلك بأنه ابتداءٌ بنكرةٍ ، وهو لا يصح ...»[٥] .

---

(١) الفراء ، معاني القرآن ٢ ـ ٦٠/ البحر المحيط ٥ ـ ٣٧٠/ هامشه ٥ ـ ٣٦٨ .
(٢) عالـجْت هذه القضية في بحث (الإبهام والمبهمات في النحو العربي) .
(٣) ارجع إلى : الفراء ، معاني القرآن ٢ ـ ٦٠/ مكي القيسي ، مشكل إعراب القرآن ١ ـ ٤٤٢/ البحر المحيط وهامشه ٥ ـ ٣٦٨ ـ ٣٧٠ .
(٤) مكي القيسي ، مشكل إعراب القرآن ١ ـ ٤٤٢ .
(٥) أبو حيان ، البحر المحيط ٥ ـ ٣٧٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجاز الابتداءُ بالنكرةِ في هذا الموضعِ لأنه موصوفةٌ بشبهِ الجملةِ (منكم).

أما ثالثُها : وهو لا يمكنُ إغفالُه ، فيتمثلُ في قولِ الفراءِ : «مَنْ ، ومَنْ في موضعِ رفعٍ ، الذي رفعها جميعًا سواء»(١) .

وعليه فإنه يجوزُ نحويا لذلك أن يكون الاسمُ الموصولُ فاعلًا مرفوعًا بكلمة (سواء) ، ويكون المرفوعُ إما مبتدأً مؤخرًا ، وإما خبرًا للمبتدأِ (سواء) ، حيث يقدرُ (سواءٌ) حينئذٍ بـ (مُسْتَوٍ) .

التركيب السابع

سواء (مجردة) + اسمان مفصولان بالواو

وردَتْ (سواءٌ) مجردةً من التعريفِ والإضافةِ مذكورًا بتركيبِها اللُّغَويِّ بعدَها اسمان فيهما معنى الفعلِ ومفصولَان بواوِ العطفِ ، وهذانِ الاسمانِ يتعلَّقَان بها معنويًّا ، ذلك في موضِعَين في قولِهِ ـ تعالى ـ :

١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج] .

٢ ـ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية:٢١] .

* المعنى اللغويُّ لسواء في الموضعين هو الاستواءُ أو التَّساوي بينَ

(١) الفراء ، معاني القرآن ٢ ـ ٦٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المدلولَيْن لاسمَيْن المذكورَيْن (سواء) في كلِّ موضع ، وَهُمَا : (العاكفُ والبادِ) في الموضعِ الأولِ ، و(المحيا والمماتُ) في الموضعِ الثاني ، هذا هو الظاهرُ مِنْ عَلَاقَةِ بعضِ الأَلْفَاظِ ببعضِهَا الآخر ، لكنَّ طرفِي الاستواءِ يتغيَّرَانِ بتغيرِ العلامةِ الإعلاابيةِ التي أتت عليها (سواء) في الموضعيْنِ تبعًا للقراءَاتِ الواردةِ فيها ، والتحليلِ النحويِّ لها .

ويجدرُ بنا أن نذكرَ التفسيرَ الشائعَ لهما في كُتُبِ التفسير الأُولَى ، حيث يذكرُ ابنُ قتيبةَ في الموضعِ الأولِ :«المقيمُ فيه والبادي ، وهو الطاريُّ مِنَ البَدْوِ ، سواء فيه ، ليس المقيمُ فيه بأَوْلى من النازحِ إليه[١] ، أي :«جعلناهُ للناسِ على العمومِ ، يصلُّون فيه ويطوفُون به مستويًا فيه العاكفُ ، وهو المقيمُ فيه الملازمُ له ، والبادِ ، أي : الواصلُ من الباديةِ .....» [٢] .

أما الموضعُ الثانـي : (سواءً مَحْيَاهُم ومَمَاتُهم) ، فقد يكونُ : محياهُمْ ومَمَاتُهُمْ سواء،أي:مستوين في البعدِ عنْ رحمةِ الله[٣]،أو : أنَّ مَحْيَا الـمُؤْمِنِينَ ومماتَهُم سواءٌ في إهانَتِهم عندَ الله[٤] .

وستتضح الأحوالُ المعنويةُ لها حالَ عَرْضِ الأَحْوَالِ النحويَّةِ فيها .

* ورد في (سواءٍ) في كلٍّ من الموضعَيْنِ قِرَاءَتَا الرفعِ والنصبِ ، ففي الموضعِ الأولِ نصبَ حفصٌ ، ورفعَ الباقُون[٥] .

---

(١) ابن قتيبةَ ، تفسير غريب القرآن ٢٩١/ وانظر : تفسير القرطبي ١٢ ـ ٣٢ .
(٢) الشوكاني ، فتح القدير ٣ ـ ٤٤٦ .
(٣) مكي القيسي ، مشكل إعراب القرآن ٢ ـ ٢٩٦ .
(٤) أبو حيان ، البحر المحيط ٨ ـ ٤٧ .
(٥) الداني،التيسير ١٥٧/ ابن الباذش،الإقناع ٢ ـ ٧٠٦/ ابن الجزري ، النشر ٢ ـ ٣٢٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الموضعِ الثانِي نصبَ حَفْصٌ وحمزةُ والكسائيُّ[١] وخلفٌ[٢] ، ورفَعَ الباقُون .

* في قراءتَيِ النَّصبِ والرفعِ توجيهاتٌ نحويةٌ ، لها عَلَاقَةٌ بمعنى التركِيبِ الذي وردتْ فيه سواءٌ في كلٍّ من الموضعين :

في قراءةِ الرفعِ في الموضعِ الأول : «سواءٌ العَاكِفُ فيهِ والْبَادِ» .

والموضع الثاني : «سواءٌ محياهُمْ ومَمَاتُهُمْ» .

ويتأولُ الرفعُ على وجهين :

أولهما : أن تكون (سواءُ) مبتدأً في الموضعين ، وخبرُه في الموضعِ الأولِ (العاكفُ) ، وفي الموضعِ الثاني (محياهُمْ) .

لكن «مكي القيسي» يذكر أن : العاكفَ رفع بفعله ويسد مسدَّ الخبرِ ، وفيه بُعْدٌ ، لأنك لابد أن تجعلَ (سواءً) بمعنى (مُسْتوٍ) ، وكذلك يَعْمَل ، ولا يحسن أنْ يَعْمِلَ (مُسْتَوٍ) حتى يعتمدَ على شيءٍ قبلَهُ ، ولكنه يعودُ فيقولُ : فإن جعلْتَ (سواءً) وما بعدَهُ في موضعِ المفعولِ الثاني لِـجَعَلْنَا حَسُنَ أن يرتفعَ بالابتداءِ ، ويكون بمَعْنَى (مستوٍ) ، فترفع (العاكفَ) به ، ويسد مَسَدَّ الخَـبَرِ[٣] .

ويذكرُ أبو حيَّان مثلَ ذاك في الموضعِ الثَّاني ، حيثُ لا مُسَوِّغَ لجوازِ

(١) الداني،التيسير ١٩٨/ ابن الباذش،الإقناع ٢ ـ ٧٦٤/ أبو حيان،البحر المحيط ٨ ـ ٤٧.
(٢) ابن الجزري ، النشر ٢ ـ ٣٧٢ .
(٣) مكي القيسي ، مشكل إعراب القرآن ٢ ـ ١٩٦/ وانظر : الإملاء ٢ ـ ١٤٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الابتداءِ بسواءٍ[١] .

ولكنَّ الفراءَ يذكرُ في الموضعِ الأولِ :

«ومن رفعَ جعلَ الفعلَ واقعًا على الهاءِ واللامِ التي في الناس ، ثم استأنفَ فقال :(سواءٌ العاكفُ فيه والبادِ) ، ومن شأنِ العَرَبِ أن يستأنِفُوا بسواءٍ إذا جاءت بعدَ حرفٍ قدْ تَمَّ بِهِ الكلامُ ، فيقولون : مررتُ برجلٍ سواءٌ عندَهُ الخيرُ والشرُّ»[٢] .

ويصرح الأخفشُ بابتدائيَّةِ (سواءٍ) في الموضعِ الثانِـي في قولِه : «سواءٌ مَحْيَا الكفارِ ومماتُهُم ، أي : محياهُمْ مَحْيَا سوءٍ ، ومماتُهُم مماتُ سوءٍ ، فرفعَ السواءَ على الابتداءِ»[٣] . فالسواءُ عنا لـمَحْيَا والـمَمَات .

ويعللُ الفراءُ مرةً أُخرى لاختيارِ الرفعِ في قوله :

«وإنما اختارُوا الرفعَ لأن (سواءً) على مذهبِ (واحدٍ) ، كأنك قلتَ : مررتُ على رجلٍ واحدٌ عنده الخيرُ والشرُّ[٤] ... ويذكرُ في موضعٍ آخرَ : وربما جعلَتِ العَرْبُ (سواءً) في مذهبِ اسمٍ بمنزلةِ (حسبك) ، فيقولون : رأيتُ قَوْمًا سواءٌ صغارُهم وكبارُهم ، فيكون كقولك : ممرت برجل حسبُك أَخُوه ...[٥] .

---

(١) أبو حيان ، البحر المحيط ٨ ـ ٤٧ .
(٢) الفراء ، معاني القرآن ٢ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
(٣) الأخفش ، معاني القرآن ٢ ـ ٤٤٧ ، ١ ـ ٢٠٧ .
(٤) الفراء ، معاني القرآن ٢ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
(٥) السابق ٣ ـ ٤٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيهما : رفعُ (سواءٍ) على أَنه خبرٌ مقدمٌ ، والمبتدأُ المؤخرُ (العاكفُ ، ومحياهُم) ويكونُ التقديرُ : العاكفُ فيه والبادي سواءٌ ، ومحياهُم ومماتُهُم سواءٌ . ولا إشكالَ في هذا التعليلِ الرفعِ .

وفي حالِ الرفعِ يكونُ الفعلُ (جعل) واقعًا على الهاءِ واللامِ التي في (للناس) في الموضعِ الأولِ ، وعلى الهاءِ والكافِ التي في (كَالَّذِين) في الموضعِ الثانِـي .

أما قراءةُ النصبِ ، فلها ثلاثةُ أوجهٍ[1]:

أولُها : نصبُ (سواءٍ) في الموضعين على أنه المفعولُ الثاني لجَعَل ، ويكونُ (كالذين ، وللناس) حالًا في كلِّ موضعٍ .

ثانيهما : نصبَ (سواءٍ) على الحاليةِ ، إما من المضمرِ المقدرِ مع حرفِ الجرِّ في قولِه : للناسِ ، والظرفُ عاملٌ فيه ، أو من الهاءِ في جعلنَاهُ في الموضعِ الأول .

وإما من الضميرِ في الكافِ في الموضعِ الثاني ، والتقديرُ : أن نجعلَهُم مثلَ المؤمنينَ في هذهِ الحالِ .

فإذا كان الـمَحْيَا والمماتُ منسوبَيْن إلى الكُفَّارِ ؛ يجوز أن تكون (سواء) منصوبةَ على الحاليةِ من الضميرِ في (نجعلهُمْ) .

---

(١) ارجع إلى : الفراء ، معاني القرآن : ٢ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ ، ٣ ـ ٤٧/ الأخفش ، معاني القرآن : ١ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧/ مكي القيسي ، المشكل ٢ ـ ٩٦ ـ ٢٩٦ ـ ٢٩٧/ العكبري ، إملا ما من به الرحمن ٢ ـ ١٤٢ ـ ٢٣٣/ أبو حيان ، البحر المحيط ٨ ـ ٤٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثها : نصبُ (سواءٍ) على المصدريةِ ، وقد ذكرَه مكي القيسي في الموضعِ الأولِ حيث يذكرُ : «وقد قرأَهُ حفصٌ عن عاصمٍ بالنصبِ ، جعلَهُ مصدرًا عمل فيه معنى (جعلنا) ، كأنهُ قالَ : سوَّيْنا للناسِ سواءٌ في معنى تسويةٍ ..» [(١)] .

وأعتقدُ أن هذا التوجيهَ في النصبِ يَسْرِي على الموضعِ الثاني .

ويتصلُ بهذه القراءاتِ قراءاتٌ فيما هو متعلقٌ بسواءٍ في اللفظِ والمعنى ، علينا أن نعرِضَ لها في الإيجازِ التالي :

* أما رفعُ (العاكفِ) ، و(محياهُم) فقد فسرنا وجْهَه .

* لكنه وردت القراءةُ بخفضِ (العاكفِ) في الموضعِ الأولِ على البدلِ من الناسِ ، وقيلَ على النعتِ ، لأن الناسَ جنسٌ من أجناسٍ الخلائِقِ ، وحينئذٍ لابدَّ منْ نصبِ (سواءٍ) في هذه القراءةِ ، لأنه مفعولٌ ثانٍ لـ(جعلَ) [(٢)] .

* وردت القراءةُ بنصبِ (محياهُم ومماتِهِم) في الموضعِ الثانِي ، والتقديرُ : في محياهم ومماتهم ، والعاملُ فيه نجعلُ ، أو سواءٌ ، فهما ينصبان على نزعِ الخافِضِ .

وقيل : هُما ظرفَان للزمانِ ، والعاملُ إما : أن نجعلَهُم ، وإما : سواء .

---

(١)مكي القيسي ، مشكل إعراب القرآن ٢ ـ ٩٦ .

(٢) السابق ٢ ـ ٩٦، وقد قرأ بهذه القراءة فرقة منهم الأعمش في رواية القطعي ، انظر : البحر المحيط ٦ ـ ٣٦٣/ تفسير القرطبي ١٢ ـ ٣٤ وانظر في هذا الإعراب : الإملاء ٢ ـ ١٤٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيل : انتصبا على البدلِ من مفعولِ (نجعلَهم) على أن يكونَ المفعولُ الثانِـي (سواءً) [١] .

التركيب الثامن

سواءٌ يتعلقُ بها شبهُ جملةٍ

+ (أَ + جملة مثبتة + أم + جملة منفية)

وردت (سواءٌ) يتعلقُ بها شبه جملة ، ومذكورًا بعدها جملتَان متناقضتَان مُصدَّرتَان بهمزةِ الاستفهامِ ، وتتوسطُهُما (أَمْ) في ستةِ مواضعَ من الآياتِ الكريمةِ التاليةِ :

١ ـ ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [البقرة] .

٢ ـ ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠﴾ [يس] .

٣ ـ ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾ [المنافقون] .

٤ ـ ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦﴾ [الشعراء] .

٥ ـ ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ٢١﴾ [إبراهيم] .

٦ ـ ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ [الأعراف] .

---

(١) الفراء ، معاني القرآن ٣ ـ ٤٧/ الأخفش ، معاني القرآن ٢ ـ ٤٧٧/ العكبري ، الإملاء ٢ ـ ٢٣٣/ أبو حيان ، البحر المحيط ٨ ـ ٤٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* لا ريبَ أنَّ (سواءً) في المواضعِ الستةِ يعنى بها التسويةُ ، وفي هذا اتفاقٌ.

* تَنْبُعُ طبيعةُ هذا التركيبِ المعنويةُ من العلاقاتِ اللغويةِ بين مفرداتِه التي يتكونُ منها .

حيثُ يتكونُ من :

(سواء) : وقد ذكرنا أنها تفيدُ التسويةَ لغويًّا لفظًا ومعنًى .

أما شبهُ الجملةِ المتعلقةُ بها لبيانِ جهةٍ من جهتَي التسويةِ ، وهي الجهةُ التي تقعُ عليها التسويةُ .

لكنه مما يلحظُ أن التسويةَ في هذا التركيبِ تطلبت حرفَ الجرِّ (على) .

ثم نجد أربعةَ أركانٍ أخرى ، الركنانِ الأساسيانِ فيها الجُمْلتان المتناقِضَتَانِ اللتان تتطلبُهُما الطبيعةُ المعنويةُ لسواءٍ ، حيث تكونُ التسويةُ بين طرفَيْنِ يكونَانِ متناقِضَيْن ، أو فيهما معنى التناقض .

ويكون التناقضُ بين الجملتينِ طَرَفَي التسويةِ إمَّا :

* بالسَّلْبِ : وأقصدُ به تكريرَ الجملةِ المثبتةِ الأُولَى بألفاظِهَا ، مع سبقِهَا بما يدلُّ على النفْي من الأدواتِ الخاصةِ به .

كما هو مذكورٌ في المواضعِ الثلاثةِ الأُولَى .

وهو كذلك ما يمكنُ الْتِمَاسُه في الموضعِ الرابعِ : ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ ، فقد تكررت الجملةُ المثبتةُ ، لكنها تحولت في تكريرِها إلى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جملةٍ فعليةٍ محولةٍ من (كانَ) الناقصةِ ، فتحولتِ الجملةُ الفعليةُ الأولَى إلى اسمِ فاعلٍ وقع خبرًا للكونيةِ ، ثم نفيت الكونيةُ ، وما الكونيةُ إلا دليلٌ على وجودِ معنى أو هيئةٍ .

ويضطر بعضُهم إلى القولِ بأن قولَهُ تعالى : ﴿أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ هذه الجملة وقعَتْ موقعَ : (أم لَمْ تَعِظْ) [١] .

* وإما أن يكونَ التناقضُ بغيرِ السلْبِ ، أي : أنه يكونُ باستخدامِ اللفظَيْنِ اللَّذَيْن وُضِعَا في اللغةِ على معنًى متناقضٍ .

وقد ورد ذلك في الموضعَيْنِ الخامسِ والسادسِ ، حيثُ : الجزعُ نقيضُ الصبرِ ، والدعوةُ نقيضُها الصَّمتُ .

فعنصُرَا التسويةِ يجبُ أن يكونَا مُتَنَاقِضَيْن :

لكن النحاةَ يستشهدُون في بعضِ مواضِعِهم بما استَشْهَدَ به سيبويه في مثل هذه الفكرة من المثل : سواءٌ علىَّ أبِشْرًا كلَّمْتَ أم زَيْدًا[٢] ، وإذا كان التكْلِيمُ مكررًا بلفْظِهِ دونَ نفْي في الجملَتَيْن ؛ فإنَّنَا يجبُ أن نتَلَمَّسَ النفيَ أو التناقضَ بينَ الاسْمَيْن الآخَرَيْن المذكورَيْن ، وهما : بِشرٌ وزيدٌ ، وكأنهما متناقِضَانِ أو ضِدَّان أو متَخَاصِمَان أو غيرُ ذلك من المعاني .

ولهذا ؛ فإنَّ هناك أمثلةً أخرى كثيرةً فيها التناقضُ واضحٌ تدورُ في كتبِ النحاةِ من مثل :

---

(١) العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ٢ ـ ١٩٦ .
(٢) سيبويه ، الكتاب ٣ ـ ١٧٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سواء علَيَّ أذهَبْتَ أم مكَثْتَ ، أو : أم جِئْتَ[١] .

سواء على أَقُمْتَ أم قَعدتَ[٢] .

والملاحظُ أن الجملةَ المثبتةَ تذكرُ أولا،وتتأخرُ عنها الجملةُ التي تناقِضُها . ويَذكرُ أن هذا الترتيبَ واجبٌ[٣] .

* كما عنصرَي التسويةِ يجبُ أن يكونا جملتَيْن خبريتَيْن .

ويتضحُ هذا في آياتِ الكريمةِ السابقةِ ، لأن التسويةَ إنما تكونُ بين حدثَيْن في المقامِ الأولِ ، واحدٌ منهما يناقضُ الآ خرَ في المَنى والمفهومِ .

كما يتضحُ في كلِّ الأمثلةِ المذكورةِ لدى النحاةِ .

يذكر عباس حسن : ولا تعطفُ المفرداتُ إلا نادرًا ، ومن ذلك عطفُ جملةٍ على مفردٍ ، ويستشهد بقول الشاعر :

سواءٌ عليك النفرُ أم بِتَّ ليلةً بأهلِ القِبَابِ من عُمَيرِ بنِ عامرِ[٤]

وكان الفراء قد ذكر أن الكسائيَّ أنشده هذا البيت ، وذكر أن بعضَهُم أنشَدَه : أو أنتَ بائِتُ[٥] .

ولكن يلاحظُ أن المفردَ المعطوفَ عليه الجملةُ وهو (النفرُ) ، إنما هو مصدرٌ ، والمصدرُ فيه معنى الفعلِ وعمله ، فهو بمثابةِ الجملةِ الفعليةِ .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ٣ ـ ١٨٦/ المبرد ، المقتضب ٣ ـ ٢٩٧ .

(٢) الصميري ، التبصرة والتذكرة ١ ـ ٤٧٢/ أبو حيان ، البحر المحيط ١ ـ ٤٧/ شرح ابن عقيل ٣ ـ ٢٢٩/ السلسيلي ، شفاء العليل ٢ ـ ٧٨٥ .

(٣) انظر : عباس حسن ، النحو الوافي ٣ ـ ٥٩٤ .

(٤) الموضع السابق .

(٥) انظر : معاني االقرآن للفراء ١ ـ ٤٠١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* يلحظُ أن الجملتَيْن كانتَا فعليتَيْن في المواضعِ الخمسةِ الأولى ، وهي كذلك في الأمثلةِ المذكورةِ لدى النحاةِ ، والجملتَان مشتركتان في الفاعلِ .

أما في الموضعِ السادسِ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ [الأعراف ١٩٣] ، فإحدى الجملتين اسميةٌ ، وهي الجملةُ الثانيةُ التي تُعْطِي نقيضَ الجملةِ المثبتةِ الأولى .

يذكرُ الفراءُ في هذا المقام : ولَمْ يقُلْ : أم صَمَتُمْ ، وعلى هذا أكثرُ كلامِ العربِ ، أن يقولُوا : سواءٌ عليَّ أقُمْتَ أم قَعَدْتَ .

ويجوزُ : سواءٌ علَيَّ أقُمْتَ أم أنْتَ قاعدٌ ، قال الشاعرُ :

سواءٌ إذا ما أَصْلَحَ اللهُ أمْرَهُم علَيْنَا أَدَثْرٌ مَا لُهُم أَمْ أَصَارِمُ[1]

وما استشهد به الفراءُ إنما هو من قَبِيلِ الجملةِ الفعليةِ لأنهُ يتَنَوَّع بينَ اسمِ الفاعلِ والمصدرِ .

والجملةُ الاسميةُ المذكورةُ في الآية الكريمةِ : ﴿أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾ في مقامِ الجملةِ الفعليةِ ، أو الجملةِ الحدثيةِ ، فإن خبرَهَا اسمُ فاعلٍ ، وهو في معنى الجملةِ الفعليةِ ، ويلحظُ أنهما يشتَرِكان في فاعليةِ الحدثِ فيهما .

ولهذا فإن المبردَ يذكرُ :

«قوله : إن تأتِنِي فَلَكَ دِرْهَمٌ في موضع : إن تأتِنِي أُعْطِكَ درهَمًا ، كما أن قولَه ـ ﷻ ـ : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣ ﴾

(١) الموضع السابق .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[الأعراف ١٩٣]، في موضع : أم صَمَتُّمْ»[(١)] .

ومن قبلِهِ ذكَرَ سيبويه ذلكَ نقلًا عن الخليلِ[(٢)] .

وكرر ذلك صاحبُ الإملاء في قوله : «﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ ، جملةٌ اسميةٌ في موضعِ الفعليةِ ، والتقديرُ : أَدَعَتوّتُمُوهُمْ أم صَمَتُّمْ»[(٢)] .

أما الزمخشريُّ فإنه يعللُ تعليلًا معنويًّا في قوله[(٣)] :

«فإن قيلَ : هلا قيل : أم صَمَتُّمْ ، ولـمَ وُضِعَتِ الجملةُ الاسميةُ موضعَ الفعليةِ ؟ قلت : لأنهم كانُوا إذا حزبهم أمرُ دَعَوُوا اللهَ دونَ أصنامِهم ، كقوله : (وإذا مسَّ الإنسانَ ضُرٌّ ....) ، فكانت حالُـهم المستمرةُ أن يكونُوا صامِتِينَ عن دَعْوَتِهم .

فقيل : إذ دعوتُمُوهُم لم تفترقِ الحالُ بين إحَداثِكُم دعاءَهُمْ وبين ما أَنْتُم عليه من عادةِ صَمْتِكُم عن دُعَائِهم ....»[(٤)] .

وفي مجالِ التفرقةِ بين نوعي (أَمْ) المتصلةِ يذكرُ ابنُ هشام : «أن الواقعةَ بعدَ همزةِ التسويةِ ـ يقصد (أَمْ) ـ لا تقعُ إلا بينَ جُمْلَتَيْن ، ولا تكونُ الجملَتَان معها إلا في تأويلِ الـمُفرَدَيْن ، وتكونَانِ فعليَّـتَيْن ، كما تقدم ، واسميتين كقوله :

---

(١) المبرد ، المقتضب ٣ ـ ١٧٨/ وانظر : عبد الظاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ١٤٧ـ ١٤٨.

(٢) انظر : سيبويه ، الكتاب ٣ ـ ٦٤ .

(٣) العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ١ ـ ٢٩٠ .

(٤) الزمخشري ، الكشاف ٢ ـ ١٣٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ فَقْدِي مَالِكًا أَمَوْتِي نَاءٍ أَمْ هُوَ الآنَ وَاقِعُ

ومختلفين ، نحو : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ (١).

وكل ما ستشهدَ به ابنُ هشام مما هو غيرُ جملةٍ فعلية،إنما هو جملةٌ حدِثّيَّةٌ، لأن أخبارَ الجملِ الاسميةِ ذُكِرَتْ أسماءُ فاعلٍ .

ولكن الرضى يعللُ لذلك بتعليلٍ معنويٍّ آخرَ ، حيث يذكرُ أنه جازَ اختلافُ الجملتين مع أنَّ(أَمْ) متصلةٌ لأَمنِهم من الالتباسِ بالـمُنْفَصِلَةِ ، لأن التسويةَ لا معنى فيها للمنفصلةِ(٢) .

* وأعودُ فأنوِّه إلى أن الجملتَيْن المتناقضتَيْن يكونان في تأويلِ المفردَيْن المعطوفَيْن بالواو، حيثُ يصلحُ أن يحلَّ محلَّهُما مع الأداةِ مصدرٌ مؤولٌ، ولهذا فإن المفسرِينَ يراعُون ذلك حالَ تفسيرِهِمْ لمثلِ هذا التركيبِ ، ففي الموضعينِ الأولِ والثاني يفسر التركيبُ على أنه إخبارٌ بانتفاءِ إيمانِهِمْ على تقديرِ إنذارِكَ وعدمِ إنذارِك ، ويفسرُ الموضعُ الخامسُ على أَنه : مستوٍ علينَا الجزعُ والصبرُ (٣)،وكذلك سائرُ المواضعِ،وسنذكرُ أن ابنَ هشامٍ يدللُ على خروجِ الهمزةِ من الاستفهامِ إلى التسويةِ بصحةِ حلُولِ المصْدَرِ محلَّ الجملةِ التي تليها .

* تسبق الجملتَان المتناقضَتَان بهمزةِ الاستفهامِ .

---

(١) ابن هشام ، مغني اللبيب ١ ـ ٤١ .
(٢) انظر : شرح الرضى ٢ ـ ٣٧٥ .
(٣) ارجع إلى : الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ٧٧/ الكشاف ٢ ـ ٣٧٣ ـ ١٣٨/ البحر المحيط ١ ـ ٤٥/ فتح القدير ٣ ـ ١٠٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يذكر سيبويه :«وإنما جاز حرفُ الاستفهامِ هاهنا لأنكَ سوَّيْت الأمرَيْن عليكَ ، كما استويا حين قُلْت : أزيدٌ عندَكَ أَمْ عَمْرٌو ، فجرَى هذا على حرفِ الاستفهامِ كما جرَى على حرفِ النداءِ قولُـهم : اللهم اغفرْ لنا أيتُها العِصَابة»(١) .

وهذه الهمزةُ تخرجُ عن معنى الاستفهامِ إلى معنى التسويةِ، ولذلك فهي تسمَّى في هذا التركيبِ بهمزةِ التسويةِ ، لوقوعِهَا بعدَ لفظِ (سواءٍ) ، أو ما في معناه ، نحو : لا أُبَالِـي .. أو ما يُشْبِهُهَا في دلالته على أنَّ الجملتَيْن المذكورتَيْن بعدَه متساويَتَان في حكمِ المتكلِم ، أي : في تقديرِه لأثرِهما ، لا فرقَ عندُه بينَ أن يتحققَ معنَى هذه أو معنَى تلك(٢) .

ويذكر ابنُ هشام الضابطَ لها «بأنها الهمزةُ الداخلةُ على جملةٍ يصحُّ حلولُ المصدرِ محلَّهَا»(٣) .

ويفترضُ الرضى أن الهمزةَ إنما تفيدُ فائدةَ (إن) الشرطيةِ لأنَّ (إن) تستعملُ في الأمرِ المفروضِ وقوعُهُ المجهولِ في الأغلب ... وكذا حرفُ الاستفهامِ تستعمل فيما لم يتيقنْ حصولُه ، فجاز قيامَهَا ، فجردت عن معنى الاستفهامِ .

وربما استقى هذا من سيبويه حال دراسته لـ(أو) في غير الاستفهام(٤) .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ٣ ـ ١٧٠/ وانظر : المبرد ، والمقتضب ٣ ـ ٢٩٨ .
(٢) انظر : عباس حسن ، النحو الوافي ٣ ـ ٥٨٥ .
(٣) ابن هشام ، مغني اللبيب ١ ـ ١٧ .
(٤) شرح الرضى ٢ ـ ٣٧٦/ وارجع إلى سيبويه ، الكتاب ٣ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ذكرتْ همزةُ الاستفهامِ هذه في كل المواضعِ من الآيات الكريمةِ السابقة ، أما قولُه تعالى : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون:٦] ، فقد «قرأ الجمهورُ أَسْتَغْفَرْتَ بهمزةِ التسويةِ التي أَصْلُهَا همزةُ الاستفهامِ وطرح ألفِ الوصلِ،وأبو جعفر بمَدَّةٍ على الـهَمْزَةِ ، قيل : هي عوضٌ من همزةِ الوَصْلِ ، وروى معاذ بن معاذ العَنْبَرِيِّ عن أبي عمرو كسرَ الميمِ على أصلِ الْتِقَاءِ الساكنَيْن ، ووصل الهمزة ،ـ فتسقط في القراءتين .....»[(١)] .

ويذكرُ جوازُ حذفِ الهمزةِ لدلالةِ (أَمْ) بعدَهَا علَيْها ، كما دلَّتْ على حذفِها في قول ابنِ أبي ربيعةَ[(٢)] :

لَعَمْرُك مَا أَدْرِي وإِنْ كُنْتُ دَارِيًا بسبعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ

أي : أَبِسَبْع ، ومنه قراءةُ ابن محيص : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة:٦] ، بإسقاطِ الهمزةِ من أَنْذَرْتَهُم[(٣)] .

* تتوسطُ الجملَتَيْن (أَمْ) : توسطت الوحدةُ الصرفيةُ (أَمْ) الجملَتَيْن المتناقضَتَيْن ملازمةً للهمزةِ ، ذلك أنه «كلُّ ما كان من الإخبارِ ، ومن حروفِ الاستفهامِ غير الألف فليست تقع (أَمْ) بعدَهُ إلا مستأنفةً ، وتكون

(١) أبو حيان ، البحر المحيط ٨ ـ ٢٧٣/ وانظر ، ابن الجزري ، النشر ٢ ـ ٣٨٨ .
(٢) ديوانه ٢٥٧ ـ ٢٥٨/ الكتاب ٣ ـ ١٧٥/ المقتضب ٣ ـ ٢٩٤/ الخزانة ٤ ـ ٤٤٧ ـ ٤٥٠.
(٣) شرح ابن عقيل ٣ ـ ٢٣٠/ البحر المحيط ٨ ـ ٣٧٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مع الألف مستأنفةً إذْ أجَرَيْتَها على ما وصفت لك ....»[١] ، فلا تقع (أم) في مثلِ هذا الموضعِ ، وفي هذا التركيبِ أو المدلولِ إلا بعدَ همزةِ الاستفهامِ وحدها .

يسمونَهَا (أم) المتصلةَ ، لأنَّ ما قبلَهَا وما بعدَها لا يستغنى بأحدِهِمَا عن الآخر[٢] .

يدعونَا هذا التعليلُ لتسميتها بالـمُتَّصِلَةِ إلى التساؤُلِ حول علةِ عدمِ استغناءِ كلٍّ مما قبلَهَا وما بعدَها عن الآخر ؟

ليس هذا إلا من طبيعةِ هذا التركيبِ الذي يستخدمُ فيه (سواءٌ) التي تفيد السويةَ بين حدثَيْن متناقضَيْن ، ويلزمُها وجودُ هذَيْن الطرفيَنْ لتؤديَ مدلولَـهَا اللغوِيَّ ، لهذا فإنه لا يُسْتَغْنَى بأحدِ الطرفينِ عن الآخرِ ، يسمى النحاةُ (أَمْ) في هذا التركيبِ بمسمى آخر ، وهو (أم) المعادلةُ ، يعللُون بأنهَا تعدلُ الهمزةَ في إفادتِها التسويةَ[٣] .

وربَّمَا استقَى النحاةُ مصطلحَ مفهومِ التعادلِ من قولِ سيبويه :«لأنكَ تقصدُ قصدَ أن يبين لك أيُّ الاسمَين في هذَا الحالِ ، وجعلْتَ الاسمَ الآخرَ عَدِيلًا للأولِ ..»[٤] .

ولكن «عباس حسن» يذكر أن الجملةَ الثانيةَ هي التي تفيدُ المعادلَةَ في

(١) انظر : المبرد ، المقتضب ٣ ـ ٢٩٩ .
(٢) ارجع إلى : المالقي ، رصف المباني ١٧٨/ ابن هشام ، مغني اللبيب ١ ـ ١٧ .
(٣) انظر : أبا علي الفارسي ، المسائل العضديات ١٩٦/ الزبيدي ، الواضح ١٦٨/ ابن جنى ، اللمع ١٨١/ الموضعين السابقين .
(٤) الكتاب ٣ ـ ١٧٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التسويةِ ، وليست (أَمْ) ، غير أن (أَمْ) تعتبرُ معادلة للهمزةِ بسببِ الدخولِ على الجملةِ المعادلةِ للأولى التي دخلَتْ عليها الهمزةُ ، ولا دخلَ للهمزةِ ولا (أم) في إفادةِ التسويةَ مستفادةٌ من كلمةِ (سواءٍ) ، أو مما يدلُّ دلالتَهَا ، مثل : لا أُبَالي ، وليست مستفادةً من الهمزةِ ، وإنما فائدةُ الهمزةِ هي تقويةُ التسويةِ وتأكيدُها[١] .

ومن قبلهِ ذكرَ أصحابُ التفاسيرِ اجتماعَ الوحدتَيْن الصرفيتَيْن في إفادةِ ما ذهبَ إليهِ من معنَى إِفادَةِ التسويةِ أو تأكيدِها .

فها هُوَ ذَا الزمخشريُّ يذكرُ أن الهمزةَ وأم التسويةِ ، كما أن صاحبَ فتحِ القديرِ يذكر أن الهمزةَ وأمْ لتأكيدِ التسويةِ ، ويستشهدُونَ لذلك بالآيات الكريمة السابقة[٢] .

ويذكر أبو حيانٍ أن الهمزةَ للتسويةِ ، و(أم) حرف عطف ، فإذا عادل الهمزةَ وجاء بعده مفردٌ أو جملةٌ في معنى المفردِ سُمِّيَتْ (أَمْ) متصلةً[٣] ، فهو يجمع بذلك بينَ (أم) المعادلةِ المتصلة .

ويجعلُ ابنُ جنى (أم) بمعنى الاستفهامِ[٤] ، ولكن الهمزةَ التي تسبقُها هي التي تكونُ بمعنى الا ستفهامِ ، بدليلِ أن الجملةَ الأولَى التي تتضمنُ الهمزةَ بمفردِها جملةٌ استفهاميةٌ .

يذكرُ سيبويه أنَّ (أم) قد لزمت «هاهنا لأنكَ تريدُ معنى (أيهما) ، ألا

(١) عباس حسن ، النحو الوافي ٣ ـ ٥٨٥ ـ ٥٩٣ .
(٢) الكشاف ٢ ـ ٢٧٣/ الشوكاني ، فتح القدير ٣ ـ ١٠٣ .
(٣) أبو حيان ، البحر المحيط ١ ـ ٤٥ .
(٤) اللمع ١٨٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ترى أنكَ تقولُ : ما أُبَالِي أي ذلك كان ، وسواءٌ عَلَيَّ أي ذلك كان ، فالمعنى واحدٌ ، وأيّ هاهنا تحسنُ وتجوزُ كما جازَتِ الـمَسْأَلَة» .

كما أنه يذكر أن (أَمْ) لا يكونُ الكلامُ بها إلا استفهامًا[١] .

والمبردُ يتخذ من جوازِ وقوعِ (أي) مكانَ الجملَـتَيْن المصدرتَيْن بهمزةِ الاستفهام والمتوسطتَيْن بأمْ دليلًا على تفسيرِ هذا التركيبِ أنهُ يفيدُ التسويةَ والمعادلةَ[٢] .

وعليه فإن من النحاةَ من يجعلُ (أم) المتصلةَ بمعنى (أي) [٣] . ولكن من النحاةِ مِنْ بعدِ ذلك مَنْ يجعلُ الهمزةَ هي المغنيةَ عن (أي) [٤]، وليس الأمرُ كذلك ، لأن (أَيًّا) تحلُّ محلَّ الهمزةِ ، و(أَمْ) معا ، كما ذكرَ سيبويهِ والمبردُ ، حيث لا تُذْكَرُ (أَمْ) إذا صدَّرْنَا ما بعد (سواءٍ) بـ(أي) .

والحقيقةَ أن (سواءً) هي التي جلبتِ (الهمزةَ) و(أَمْ) معًا ، وهي التي أخرجَتْهُما عن حقيقةِ الاستفهام، يذكر الرضى: وبين معنى (الهمزةِ) و(أم) المتصلةِ جامعًا ومناسبةً ، وهو التسويةُ ، فهي التي جوزت الإتيانَ بهما بعد اللفظيْن بتجريدِ الهمزةِ و(أم) عن معنى الاستفهامِ ، وجعلها بمعنى (إن) و(لَوْ) ....» [٥] .

ولابدَّ من التنويهِ إلى أن هذا التركيبَ (لسواءٍ) بالرغم من وجودِ همزةِ

---

(١) سيبويه ، الكتاب ٣ ـ ١٧١ ـ ١٦٩/ وانظر : المالقي ، رصف المباني ١٧٨ ـ ١٧٩ .
(٢) انظر : المبرد ، المقتضب ٣ ـ ٢٩٧ .
(٣) ابن الأنباري ، أسرار العربية ٣٠٥ .
(٤) انظر : شرح ابن عقيل ٣ ـ ٢٢٩/ السلسيلي ، شفاء العليل ٢ ـ ٧٨٥ .
(٥) شرح الرضى للكافية ٢ ـ ٣٧٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاستفهامِ به إلا أنه لا يدلُّ على استفهامٍ .

يذكر الأخفش في الموضعِ الأولِ وهو قولُهُ تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ [البقرة:٦] .

«فإنما دخلَهُ حرفُ الاستفهامِ وليسَ باستفهامٍ لذكرِه السواء ، لأنه إِذَا قالَ في الاستفهامِ : أزيدٌ عندَكَ أم عمرُو ؟ وهو يسأل أيُّهُما عندَك ، فهما مستَوِيَان عليه ، ليس واحدٌ مِنْهمَا أحقَّ بالاستفهامِ من الآخرِ ، فلما جاءتِ التسويةُ في قوله:(أَنْذَرْتَهُم) شبه بذلك الاستفهامَ إِذْ أشبهَهُ في التسويةِ»(١) .

ويجمعُ الصيمريُّ بين المواضعِ الثلاثةِ الأولى ضمنَ هذهِ الفكرةِ في قوله : «واعلمْ أنه قد يستعملُ في كلامٍ لفظُ الاستفهامِ ولا يرادُ به الاستفهامُ ، وذلك على ضروبٍ: منها التسويةُ ، كقولك : سواءٌ عَلَيَّ أقمتَ أم قعدْتَ ، فهذا لفظُ الاستفهامِ ، ولم تُرِدْ به الاستفهامَ ، وإنما أردتَ تسويةَ الأمرَيْنِ عليْك ، كما قال اللهُ ـ ﷻ ـ : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[المنافقون:٦] ، وقوله ـ ﷻ ـ : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ [البقرة:٦، يس:١٠] وكذلك ما أَدْرِي أَقَامَ أَمْ قَعَدَ ، وما علمت أَقَامَ أَمْ قَعَدَ، ليس في هذا كلِّه استفهامٌ ، وإنما هو تسويةٌ بين الأمرَيْنْ»(٢) .

ويفسرُ أبو حَيَّان بأنَّ الأمرَيْن في مثلِ هذه التراكيبِ قد استَوَيَا عندك ، كلٌّ في تركيبه اللغوي ، فهذان في الخبرِ ، وهذان في الاستفهامِ ، وذلك في

(١) الأخفش ، معاني القرآن ١ ـ ٢٨ .
(٢) الصيمري ، التبصرة والتذكرة ١ ـ ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عدمِ العلْمِ بأحدِهِما بعينِه ، فلما عممتهما التسوية جرى على الخبرِ لفظُ الاستفهامِ لمشاركتِهِ إيَّاهُ في الإبْهامِ ، وكلُّ استفهامٍ تسويةٌ ، وإن لم يكن كلُّ تسويةٍ استفهاما [١] .

ولكن المبردَ يفسرُ هذه الفكرةَ بكيفية أخرى ، حيث يرى أنه لا يدخلُ على الاستفهامِ إلا ما يجوز أن يلغى ، لأن الاستفهامَ لا يعملُ فيه ما قبلَهُ ، ثم يذكر من الشواهدِ قولَ ذي الرمة :

سواءٌ عليك اليومَ أَنْصَاعَتِ النَّوَى بخرقاءَ أَمْ أَنْحَى لك السيفَ ذَابِحُ [٢]

وكان قد صرح في عدةِ مواضعَ بأن هذا الأسلوبَ ليس استفهامًا ، وإنَما هُوَ للتسويةِ [٣] .

ولوعدنا إلى كلٍّ من سيبويه والمبردِ نتلمسُ منهما على إنشاءِ هذا التركيبِ في صورةِ استفهامٍ ، فإننا نجدُ أن سيبويهِ يعللُ لجوازِ دخولِ حرفِ الاستفهامِ هاهنا حيث سوَّيْتَ الأمرَيْن عليك [٤] .

ولكن المبردَ إلى جانبِ تكريرِهِ لفكرةِ سيبويه السابقة يذكر أن التسوية أجرت عليه هذه الحروف ، إذْ كانت لا تكونُ إلا التسوية ... ثم يذكر أنَّ (أم) المتصلةَ ؛ أي : التي يُرادُ بالتركيبِ الذي وردت فيه معنى (أيهما) ، إذا

---

(١) أبو حيان ، البحر المحيط ١ ـ ٤٧ .

(٢) المقتضب ٣ ـ ٢٩٨/ خزانة الأدب ٤ ـ ٤٦٤/ والشاهد في ديوان ذي الرمة في قصيدة ص ٩٣ ـ ١١١ .

(٣) ارجع إلى المقتضب ٣ ـ ٢٩٣ ـ ٢٩٩ .

(٤) سيبويه ، الكتاب ٣ ـ ١٧٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أردت به هذا المعنى عدلْتَهَا بالأَلِفِ ، وتدخلُ عليها ما كان للتسويةِ[١] .

يجمع الزجاجُ ذلك من حيث الجانبُ اللفظي والجانبُ المعنوي في قوله: «فأما دخولُ ألفِ الاستفهامِ ودخولُ (أم) التي للاستفهام، والكلام خبر، فإنما وقع ذلك لمعنى التسويةِ ، والتسوية آلتها الاستفهام وأم ... ثم يعلق على ذلك بقوله : وإنما تريدُ أن تسوىَ عند من تخبره العلمَ الذي قد خلص عندك ، وكذلك : ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ دخلت الألفُ وأم للتسوية»[٢] .

* لهذا فإن هذا التركيب لا يحتاجُ إلى جوابٍ ، لأن المعنى ليس على الاستفهامِ ، وأن الكلامَ قابلٌ للتصديقِ والتكذيبِ لأنه خبر[٣] .

وهذا يتضامنُ مع الفكرةِ السابقةِ حيث تعادلُ همزةُ الاستفهام بأَمْ ، أو أَنَّ (أم) تعادلُ بهمزةِ الاستفهامِ .

والاثنتان معا يعادلان سوِيًّا بأي .

وبذلك فإن التركيبَ ليس باستفهامٍ يحتاجُ إلى جوابٍ ، وإنما هو إخبارٌ عن تسويةٍ بين أمرَيْن في المعنى الذي يسبقها، سواء أكان: سواء ، أم أبالي ، أم أدري ، أم غيرَ ذلك من الألفاظِ والمعاني .

وإنما يتأَتَّى إفادةُ هذا التركيبِ الخبرَ مما سبق الجملتين من كلمة : (سواء)، أو غيرها ، فيفرق في الأَمْثِلَةِ المذكورةِ لدى سيبويه والمبرد بين ما

(١) المقتضب ٣ ـ ٢٩٩/ وانظر : أبا على الفارسي ، المسائل العضديات ١٩٦ .
(٢) الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ٧٧ .
(٣) ابن هشام ، مغني اللبيب ١ ـ ٤١٤/ عباس حسن ، النحو الوافي ٣ ـ ٥٩٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يسأل عنه ويتضمن معنى أيهما) باستخدامِ همزةِ الاستفهامِ و(أم) فهو استخبارٌ ، وبين ما يسبق من مثل هذا الاستخبارِ بكلماتِ : سواء ، وما أبالي ، وما أدري ، وليت شعري ، فهو ليسَ باستفهامٍ .

أما أبُو حيان فيذكر أنها (سواء) وما بعده إذا كان خبرًا ومبتدَأً فمعناه الخبرُ[(١)].

الجانب الإعرابي في هذا التركيب :

الفكرة النحوية في المواقع الإعرابية لمفردات هذا التركيب مطردة في المواضعِ السابقةِ ، ونوجزُها فيما يأتي[(٢)] :

* أن تكونَ (سواءٌ) خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ ، والتقديرُ : والأمرَان سواءٌ ، وهما سادَّان مَسدّ جوابِ الشرطِ ، باحتسابِ أنَّ همزةَ الاستفهامِ أفادتْ فائدةَ (إن) الشرطية .

* يجوز أن تكونَ (سواءٌ) خبرًا مقدمًا ، وما بعدَهُ من الإنذارِ وعدمهِ مبتدأً مؤخرًا ، بتقديرِ المصدرِ المؤولِ منهما ، فالجملتان في تأويلِ مفردَيْن .

ويعترض على ذلك بأن المبتدأَ المشتملَ على استفهامٍ يكونُ واجبَ التَّقْدِيم .

* ويجوز أن تكون (سواءٌ) هي المبتدأَ ، وما بعدَهُ من الإنذارِ وعدمِهِ خبره ، والتقدير : سواءٌ عليهم هَذَان .

---

(١) أبو حيان ، البحر المحيط ١ ـ ٤٧ .

(٢) ارجع إلى : الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ٧٧/ النحاس ، إعراب القرآن ١ ـ ١٨٤/ القيسي ، مشكل إعراب القرآن ١ ـ ٢٠/ أبو حيان ، البحر المحيط ١ ـ ٤٥ ـ ٤٧/ شرح الرضى على الكافية ٢ ـ ٣٧٥ ـ ٣٧٦/ حاشية الخضري على ابن عقيل ٢ ـ ٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا جعلنا (سواءً) المبتدأَ والجملةَ الخبرَ فلا يحتاجُ إلى رابطٍ ، لأنها المبتدأُ في المعْنى والتأويلِ .

* ويجوز أن تكونَ (سواءٌ) المبتدأَ ، وما بعدَه فاعل ، أو : يقومُ مقامَ الفاعل[1] ، سدَّ مسدَّ الخبرِ ، بتقديرِ أنَّ (سواءً) في تأويلِ (مُتَسَاوٍ) .

وقد ذكرنا أن هذا يعترضُ عليه بأن اللفظَ (سواء) لا يعتمدُ على شيءٍ قبلَه من نفيٍ أو استفهامٍ أو نداءٍ أو موصوفٍ أو ابتداءٍ ، حتى يعربَ ما بعده فاعلُه .

ولكن هذا الاعتراضَ ينتفى في الموضع الأول ، حيث يمكن أن يعربَ (سواءٌ) خبرا لإنَّ ، فهو معتمدٌ حينئذٍ على مبتدأٍ ، وهو اسمُ (إن) ، وفي وقوعِ الجملةِ فاعلًا خلافٌ ، يعرضُ له بالتفصيلِ في القسمِ الأخيرِ .

وإن كانَ هذا يطردُ في كل المواضِع الستةِ السابقةِ لتركيبِ (سواء) وما بعده من جملتَيْن مصدرتَيْن بهمزةٍ ، تتوسطُهُمَا (أم) ؛ فإن هناك جوانبَ إعرابيةٌ تتعلقُ بالموضعِ الأولِ في سورةِ البقرة ، حيث :

* تكون (سواءٌ) خبر (إنَّ) ، وما بعدها فاعل (سواء) .

* أو أن جملةَ (سواء وما بعدها) وهي جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل رفعِ خبرِ (إن) .

* أو خبرَ (إن) الجملةُ الفعليةُ (لا يؤمنون) ، وأما جملةُ (سواء) وما بعدها فهي اعتراضيةٌ لا محلَّ لها من الإعراب .

---

(١) النحاس ، إعراب القرآن ١ ـ ١٨٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومعنى الآية الكريمة يحتمل هذه الأوجه الإعرابية :

ففي الوجه الأول : إذا كانت (سواءٌ) خبرًا لإنَّ فإنها تستلزم وجودَ ما بعدها ، وهو الإنذارُ وعدمُه ، أما الخبرُ وهو الجملةُ الفعليةُ (لا يؤمنون) ، فهو توضيحٌ للتسوية بين إنذَارِهِمْ وعدم إِنْذارِهم .

وهذا التحليلُ المعنويُّ يسري على الوجهِ الثاني ، مع ملاحظة أنه جعلَ خبرَ (إِنَّ) الأو لَ الجملةَ الاسميةُ التي تتكونُ من (سواء) وما تستلزمُهُ من طرَفَي الاسْتِوَاء .

وأَمَّا الوجهُ الثالثُ فإنه يعربُ خبرَ (إن) الجملةَ الفعليةَ (لا يؤمنون) ، لأنها المحصلةُ النهائيةُ والحاسمةُ في توضيحِ عنادِ هؤلاءِ الكافِرين ، وتكونُ الجملةُ الاعتراضيةُ من (سواء) وما بعدَها لتأكيدِ هذا العنادِ أو عدمِ الإيمان .

التركيب التاسع

جملة فعلية + أو + الجملة السابقة منفية

+ سواء + شبه جملة

ورد هذا التركيبُ للفظِ (سواءٍ) الذي يتركبُ من :

جملتَيْن متناقضتَيْن بالسَّلب ، تتوسطُهُما (أو) ، يتلُوهُما (سواءٌ) المتعلقُ بها شبهُ جملةٍ ، في قوله ـ تعالى : ﴿ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾ [الطور] .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* تعنى (سواءٌ) في هذا الموضعِ مدلولَ الاستواءِ أو التسويةِ .. فصبرُكُمْ وعدمُ صبرِكُمْ سواءٌ ، أي : يَسْتَوِيَان .

* أما الموقعُ الإعرابيُّ لـ (سواءٍ) فإنه يقدَّرُ تبعًا للتأويل اللفظيِّ للتركيب ، حيث لا يكتفي اللُّغويُّون ومنْ ورائِهِمُ المفسرُون بما عليه التركيبُ من ألفاظٍ ، وإنَّما يقدِّرون محذوفًا بعدَ (سواءٍ) يدلُّ عليه قولُه الكريمُ : ﴿ فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ ﴾ [الطور: ١٦] ، ويكونُ : صبركم وتركه .

وعلى تقديرِ موضِعِه اللفظيِّ يكونُ التقديرُ لـ (سواءٍ)،حيث يكون[1]:

* (سواء) خبر مبتدأٍ محذوفٍ ، أي : صبرُكم وتركُه سواءٌ ، أو الأمران سواءٌ .

* أو أن يكونَ (سواءٌ) مبتدأً، والخبرُ محذوفًا ، أي : الصبرُ والجزعُ .

والذي أدَّى إلى هذَا التأويلِ هو سبقُ الجملتَيْن المتناقضتين اللتَيْن فيهما معنى السواءِ للفظِ (سواءٍ) ، إلَى جانبِ توسُّطِ (أَوْ) ، مع عدمِ تصدرِهِمَا بهمزةٍ معادلةٍ .

فهذا التركيبُ يختلفُ عن سابقِهِ في هذه الجوانبِ الثلاثةِ، فلزم التأويلُ.

إلا أنني أنبهُ إلى أن كلًّا من الاستفهامِ والأمرِ طلبٌ وإنشاءٌ ، وينتفِي هذَا المعنى فِيهِمَا بالتسويةِ .

---

(١) انظر : الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ٥ ـ ٦٢/ النحاس ، إعراب القرآن ٤ ـ ٢٥٥/ العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ٢ ـ ٢٤٥/ أبو حيان ، البحر المحيط ٨ ـ ١٤٨/ تفسير النسفي ٤ ـ ١٩٠/ شرح الرضى على الكافية ٢ ـ ٣٧٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكننا إذا تمعنا التركيبَ ـ واللهُ أعلمُ ـ نجد أنه يتركبُ من :

* أمرَيْن متناقضَيْن .

ولابدَّ من الابتداءِ بالأمرِ ، لأنه ابتدائيٌّ في الكلامِ ، إلا إن سُبِقَ بما ينبَّهُ به المأمورُ .

لهذا وجبَ الابتداءُ بالأمرِ : اِصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا .

* ونلحظ أن الأمرَ فيه معنى الشرطِ، والتقديرُ : اِصْلَوْهَا ، فَإِنْ تَصبِرُوا أَوْ إِن لا تصبروا .

وإنِ احتملَ المعنيَانِ معنى الشرطِ فالأفضلُ العطفُ باستخدام (أَوْ) ، يذكرُ سيبويهِ في بابِ (أَوْ) في غيرِ الاستفهامِ : «وتقولُ : لَأَضْرِبَنَّهُ ذَهَبَ أَوْ مَكَثَ ، كأَنَّهُ قالَ : لأَضرِبَنَّهُ أوْ ماكثًا ، ولأضربَنَّه إِنْ ذَهَبَ أَوْ مَكَثَ»[(١)] .

ويذكر المبردَ في قولِ زياد بن زيد :

إذا ما انْتَهَى عِلْمِي تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ أَطَـالَ فـأملي أَوْ تَنَـاهَى فأقصـرَا

أنه ينشدُ كذلكَ : أَمْ تناهى ، ويوضحُ ذلكَ في قوله : «أَمَّا (أَوْ) فَعَلَى قولِكَ : إِنْ طَالَ وَإِنْ قَصُرَ .

وأما (أَمْ) فَعَلَى قولِك : أيُّ ذَلِك كَانَ ؟ والألفُ في(أَطَالَ) ألفُ استفهامٍ ، والأحسنُ في هذا (أَوْ) ، لأن التقديرَ : إِنْ كَانَ كَذَا ، وَإِنْ كَانَ كَذَا ، وكذلك كلُّ موضعٍ لا يقعُ فيه استفهامٌ على معنى (أيهما) [(٢)] .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ٣ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٢) المبرد ، المقتضب ٣ ـ ٣٠٢ ـ ٣٠٣/ وانظر : معاني القرآن للفراء ١ ـ ٤٠١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* ولقد قُرِّرَ الحكمُ الثابتُ في قولِهِ : ﴿ ٱصْلَوْهَا ﴾ [الطور:١٦] ، ثم يُؤكَّدُ هذا الاصطلاءُ بما جاءَ في معنى التسويةِ بين الصبرِ وعدمِهِ ، ثم يبرر لذلك بِعَدْلِهِ ـ تعالى في تذييلِ الآيةِ الكريمةِ بقوله : ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور] .

فالتسويةُ خاصةٌ بالصبرِ وعدمِ الصبْرِ .

ومثلُ هذا القولِ : «لَقَدْ غُطِّيتُ فَافْتَحِ الشُّبَّاكَ أَوْ لَا تَفْتَحْهُ سَوَاءٌ عَلَيَّ» .

والأمرُ بالفتحِ وعدمِ الفتحِ فيه تأكيدٌ لتقريرِ الحكمِ ، وهو التغظيةُ ، كما في الأمرِ بالصبرِ وعدمِهِ تأكيدٌ لتقريرِ حكمِ الاصطلاءِ .

لهذا ؛ إذا جازَ لنا أن تؤولَ الجملتَيْن اللتَيْن تليَان (سواء) ، وفيهما طرفَا التسويةِ بمفردَيْن ، فإنهُ يجيزُ لنا هذا أن تؤولَ طرفي الاستواءِ إذا سبقا (سواءً) بمفردَيْن ، ويكونُ التقديرُ : صبرُكُمْ وعدمُ صبرِكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ.

وعليه فإنَّ (سواءً) تعرَبُ الإعرابَيْنِ السابقَيْن دونَ تقديرِ محذوفٍ .

* ويجوزُ لنا أن نعربَ سواءً خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ يعودُ على الطرفَيْن ، والتقديرُ:هذا سواءٌ، أو : هُوَ سَوَاءٌ ، أو : الأَمْرَانِ سَوَاءٌ ..... أو غير ذلك.

ويذكرُ الزجاجُ أن (سواءً) مرفوعٌ بالابتداءِ ، والخبرُ محذوفٌ [١] .

* وأعودُ فأكررُ هذه الفكرةَ في أنَّهُ ممَّا دعا سَبْقَ طرفي الاستواءِ لسواءٍ إنما هو مجيئُـهَا في صيغَةِ الأمرِ .

---

(١) المبرد ، المقتضب ٣ ـ ٣٠٢ ـ ٣٠٣/ وانظر : معاني القرآن للفراء ١ ـ ٤٠١ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ٥ ـ ٦٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومما دعا العطفَ بـ(أَوْ) مَكَان (أَمْ) هو تضمُّنُها معنَى الشَّرطِ بدلًا من تضمُّنِها همزةَ الاستفهام .

وأشيرُ هنا إلى ما ذكره الرضيُّ من أَنَّ الهمزةَ تفيدُ فائدةَ (إِنِ) الشرطيةِ ، لأنَّ (إِنْ) تستعملُ في الأمرِ المفروضِ وقوعُه المجهولُ في الأغلبِ ، فلا يقالُ : إِنْ غربت الشمسُ ، وكذا حرفُ الاستفهامِ تستعملُ فيما لم يُتَيَقَّنْ حصولُه ، فجاز قيامَها ، فجُرِّدَتْ عن معنى الاستفهامِ ، وكذا (أَمْ) جُرِّدَتْ عن مَعْنى الاستفهامِ ، وجُعِلَتْ بمعنى (أو) ، لأنها مثلُها في إفادةِ أحدِ الشيئَيْن أو الأشياءِ ، ثم يذكرُ في موضعٍ آخر : ..... كل موضعٍ يجوزُ فيهِ (أَوْ) يجوزُ فيهِ (أَمْ) وبالعكسِ [1] .

(١) شرح الرضى على الكافية ٢ ـ ٣٧٦ ـ ٣٧٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القسم الثاني
الخصائص
الصرفية والدلالية

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جـــذر (سواء)

الجذرُ هو السين والواو والياء ، كما شائعٌ في أصل اللام ، وقد تفرعت منه ألفاظٌ عديدةٌ ، بُنِيَتْ على غيرِ قياسٍ في اللغةِ العربيةِ ، فتعدد لذلك المباني .

وقد أدى ذلك بدوره إلى تعددِ المعاني لهذا الجذرِ ، واستخدامِه في نطاقٍ واسعٍ من التراكيبِ والاستخداماتِ الدلالية .

وفي هذا المجالِ من البحثِ أحاولُ حصرًا للمباني التي وردت من هذا الجذرِ ، وما يقابلُها من دلالاتٍ من خلال التراكيبِ التي ذكرت في المعاجمِ العربيةِ ، وكتبِ اللغويين ، وعند مفسري القرآن الكريمِ ، ودارسي القرآنِ الكريمِ ، ودارسي الأشياءِ والنظائرِ .

ألفاظ الجذر في القرآن الكريم

ورد هذا الجذرُ في القرآنِ الكريمِ في سبعةِ مبانٍ[(١)] ، هي :

* سَوَاء : في سبعةٍ وعشرين موضعًا .
* سَوَّى : (بتضعيفِ العينِ) في أربعةً موضعًا .
* سَوِيّ : (بكسرِ العينِ ،وتضعيفِ اللام) في خمسةِ مواضعَ .
* سُوَّى : (بضمِ الأولِ وفتحِ الثاني) في موضعٍ واحدٍ .

---

(١) اعتمدت في هذا الإحصاء على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضع محمد فؤاد عبد الباقي .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* اسْتَوَى : على وزن : افْتَعَل ، في خمسةٍ وثلاثين موضعًا .

ويدرس كلُّ وما يقابلُه من دلالةٍ من خلالِ الدراسة التالية :

المقابل الدلالي

يذكر ابنُ فارس : أن «السينَ والواوَ والياءَ أصلٌ يدل على استقامةٍ واعتدالٍ بين شَيْئَيْن[1] ، ثم يذكرُ عدةَ مبانٍ تحتَ هذا الجذرِ ، لا تمثِّلُ كلَّ ما وردَ في المصادرِ اللغوية ، كما أنه لَمْ يُبَيِّنْ ما بينها وما بين الجذر من أصولٍ خلافٍ أو وفاقٍ .

وهذا ثبتٌ بالدَّالَّاتِ ومدلُولِهَا الـمُستقاةِ من الكتبِ اللغوية، مع التركيزِ على (سواءٍ) بصفة خاصة :

سَوَاءٌ : بفتح ففتح طويل

وهذا المبنى محور الدراسة ، لهذا بدأت به :

ذكر (سواءٌ) بعدةِ معانٍ تختلفُ باختلافِ ما وردَ فيه من تركيب ، والمعاني التي ورد عليها هي :

* **معنى الاستواء أو التسويةِ** ، وقد عبر عنها بعدةِ كلماتٍ ، فقد تكونُ بلفظِ التسويةِ ، يذكرُ المبردُ : «ويدخلُ في بابِ التسويةِ مثل قولك : سواءٌ علَيَّ أذهبتَ أم جئت .... ثم يقول : قولك : (سَوَاءٌ علَيَّ) تخبرُ أن الأمرَيْن عندك واحدٌ .....»[2] .

---

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ٣ـ ١١٢ ، مادة (سوى) .
(٢) المبرد ، المقتضب ٣ـ ٢٨٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقال : رجلٌ سواءُ القَدَم : مستويها ليس لها أَخْمَص[١] .

وعندما فسَّر (الراغبُ الأصفهاني أقوالَه ـ تعالى :

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة:٦ ، و يس:١٠] .

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ [المنافقون:٦] .

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم:٢١] .

ذكر أنَّه يستوي الأمران في أنَّهما لا يُغْنِيَان[٢] .

كما يذكر تبعا لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥] .

قد يعبر عن التسويةِ بلفظِ الوحدةِ في الأطرافِ المتساويةِ ، حيث يذكر الفرَّاءُ في تفسير (سواءٍ)[٣] في قوله تعالى : ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥] : أنَّهم يختارون الرفعَ لأن (سواءً) على مذهبِ (واحدٍ) ويمثل لقولهم : مررت برجلٍ سواءٌ عندَهُ الخيرُ والشرُّ ، أي : واحدٌ عندَه الخيرُ والشرُّ ، في حالِ رفعِ (سواء) .

ولكنه يعبرُ عن التسويةِ بلفظٍ آخرَ ، وهو الاعتدالُ ، عندما يختارُ الخفضَ في المثالِ السابقِ .

---

(١) الزمخشري ، أساس البلاغة ٣١٥ .
(٢) المفردات في غريب القرآن ٢٥٢ ، مادة (سوى) .
(٣) معاني القرآن للفراء ٢ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكلاهما بمعنى واحد ، لكنه يفرق باللفظِ لأنه كما يذكر : (معتدل) فعلٌ مصرح ، و(سواءٌ) في مذهب مصدر .

ولقد ذُكِرَ كلمةُ (شرعًا) في الأوجهِ التي تردُ (سواءٌ) عليها في كتبِ الأَشْبَاهِ والنظائرِ[١] في قوله تعالى: ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥]، و﴿فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩]،و﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾[الروم:٢٨]،و﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [النحل:٧١] ، أي : شَرْعًا سَوَاء .

وكلمة (شرعًا) هنا ليست وجهًا من أوجهِ تفسيرِ (سواءٍ) ، لذلك فإن تفسيرَهم دائمًا لهذه المواضعِ يكونُ بقَرْنِ كلمةِ (سواءٍ) بكلمة (شَرْعًا) ، لكنها تدلُّ على شرعيةِ التسويةِ بين الفريقَيْن المذكورَيْن في كلِّ موضعٍ ، أو تحديدِ جهةِ التسويةِ بأنها في الشرعِ .

فهي تدلُّ على التسويةِ لا غير .

وعندما عرضها أبُو البقاءِ في كُلِّيَّاتِه جعلها بمعنى الاستواءِ ، يوصف به كما يوصف بالمصادر[٢] .

كما أن أصحاب كتبِ الأشباهِ والنظائرِ[٣] يختلفون في تفسيرِ (سواءٍ) في آيتَيِ البقرةِ ويس ، حيث يفسرها مقاتل بالقول : قرأته أم لم تقرأْه ، وليس

---

(١) ارجع إلى : مقاتل ، الأشباه والنظائر ٩٩ ـ ١٠١/ يحيى بن سلام ، التصاريف ١١١ ، ١١٢/ ابن العماد ، كشف السرائر ٤٧ ـ ٤٨ .

(٢) أبو البقاء ، الكليات ٣ ـ ١٤ .

(٣) مواضع الهامش (١) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا بمعنى (سواء) ، وإنما قد يكونُ مستفادًا من التركيبِ كلِّه الذي فيه سَوَاءٌ ، ولذلك فإن المحققَ يُضَّطر أن يعلقَ على ذلك بقوله : «ولعل معنى قرأته : إن قراءةَ القرآنِ وعدمَه سواءٌ عند كفارِ العربِ ، لأنه طبع على قلوبِهم» .

أما صاحبُ كشفِ السرائِر فإنه يجعلُ التفسيرَ في الموضعَيْن : قرآنَهُ ، ولكن صاحبَ التصاريفِ يذكر معنى سواءٍ هنا في الاستواءِ .

وعندما عرضَهَا أبو البقاءِ في كليَّاتِه ذكر أنها اسمٌ بمعنى الاستواءِ[(١)] ، ولهذا فإنهم يَجْمَعُون بينَ الجانبِ اللفظيِّ والجانبِ المعنويِّ في سواءٍ حين تفسيرهم لها ، حيث يجعلونَهَا مصدرًا بمعنى الاستواءِ ، وصف به كما يوصف بالمصادرِ[(٢)] .

*** معنى الوسط :**

ورد في (سواءٍ) معنى (الوسطِ) ، والاستشهادُ لذلك بقولِهِ تعالَى : ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ [الدخان][(٣)] .

ويذكرُ سيبويهِ أن سَوَاءَ النهارِ وَسَطَه، كما تقول : هذا نصفُ النهارِ[(٤)] .

كما يذكرُ ابنُ فارس : «ومن الباب : السَّواء ، وسط الدر وغيرها ، وسُمِّيَ به لذلك لاستوائه»[(٥)] .

---

(١) كليات أبي البقاء ٣ ـ ١٤ . (٢) تفسير النسفي ١ ـ ١٥ ـ ١٦ .
(٣) ارجع إلى كتب الأشباه والنظائر في الصفحة السابقة الزمخشري ، أساس البلاغة ٢١٥/ الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ٢٥٢ .
(٤) انظر الكتاب ١ ـ ٢٢١ . (٥) ابن فارس ، مقاييس اللغة ٣ ـ ١١٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقال : ضَرَبَ سَوَاءَه : وَسَطَه ، وضربه على مُسْتَوَى مَفْرِقِه .

ويقال : دَعَاك إلى السَّوَاء ، أي : إلى النصفَةِ ، وسواءُ كلِّ شيءٍ وَسَطُه ، ومنه يقال للنصَفةِ سواء لأنها عَدْلٌ(١) .

وتلحظُ معي أنَّ هذا المعنى إنما هو والتسويةُ شيءٌ واحدٌ ، فما الوسطُ إلا تسويةٌ بين نصفَيْن أو شقَّيْن ، ولهذا فإنه يسَّمى وسطًا ، أي : يختصُّ تقسيمَ الشيءِ إلى قسمَيْن مُتَسَاوِيَيْن بلفظٍ لغوي خاصٍّ به ، وهو الوَسَط.

وكذلك النصفةُ إنما هي تقسيمُ الشيءِ إلى نصفَيْن متساويَيْن وقد ذكرنا أن (سواءً) في نسبِها إلى : السبيلِ ، والصراطِ ، والجحيمِ تعني : الوسَطَ ، وهو يُعْطِي معنى التسويةِ بين النصفَيْن .

كما أنها فُسِّرت بالقَصْدِ في هذه المواضع .

*** معنى العدل :**

يقال : هذا لا يساوِي كَذَا ، أي : لا يعادلُه ، والمتاعُ لا يساوي هذا الثمنَ ، كما أن صاحبَ الصحاحِ يذكرُ أن «السَّوَاء : العدل ، قال اللهُ ـ تعالى ـ : ﴿ فَأَنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال:٥٨]»(٢) ، ومثل ذلك ذكرهُ صاحبُ المفردَاتِ(٣) .

---

(١) ارجع إلى : ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ١٠٦/ مجاز القرآن ١ ـ ٩٦ .
(٢) الزمخشري ، أساس البلاغة ٣١٥/ السجستاني ، تفسير غريب القرآن ٥٠/ الجوهري، الصحاح ٦ ـ ٢٣٨٤ ، مادة (سوا) .
(٣) الراغب الأصفهاني ، المفردات ٢٥٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ربط ابنُ قتيبةَ بين العدلِ والنصفِ في هذا الموضعِ ، كما ربط بينهما وبين الوسطِ ، ثم يقول : وأعدلُ الأمورِ أوسَطُهَا[١] .

ومنه يتبينُ لنا أن المعنى في هذا الموضعِ وباستخدامِ مصطلحِ العدلِ والنصفِ لا يخرجُ عن معنَى التسويةِ .

*** معنى التام :**

يذكر سيبويهِ أنك تقولُ : «هذا درهمٌ سواءٌ» ، كأنك قلت : هذا درهمٌ تامٌّ»[٢] .

كما أن ابنَ هشامٍ يذكر أن من معاني (سواءٍ) أن تكونَ بمعنى (التامِّ) ، فتمد مع الفتحِ ، ويثبتُ ما تمثَّلَ به سيبويهِ من المثلِ السابقِ[٣] .

ولكنك أَلَسْتَ معي أن نعتَ الدرهمِ بلفظِ (سواءٍ) يعطي معنى الاستواءِ أو التسويةِ ؟ فكأن الدرهمَ ليس بخاصٍّ بأحدٍ ، وإنما هو مستوٍ درهمًا للجميعِ ، أو لـمَنْ يتملَّكُه .

ونلحظُ أنْ سيبويهِ يذكر هذا المثلَ مقرونًا بقولِه تعالى : ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ [فُصِّلَت] ، ويشبه بين (سواء) في حالي النصبِ في الآيةِ الكريمةِ ومع درهمٍ ، ثم يشبهُ بين (سواءٍ) في حالِ الرفعِ مع درهمٍ والجرِّ

(١) ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ١٠٦/ مجاز القرآن ١ ـ ٩٦/ وانظر : السجستاني ، تفسير غريب القرآن ٥٠ .
(٢) سيبويه ، الكتاب ٢ ـ ١١٩ ، ١ ـ ٤٣١ .
(٣) ابن هشام ، مغني اللبيب ١ ـ ١٤١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في الآيةِ الكريمةِ ، وكان قد ذكرَ في بدايةِ هذا الموضع «هذا درهمٌ سواءٌ ، كأنه قال هذا درهمٌ استواءً» ، وإن كان قد ذكرَ بعدَه : فهذا تمثيلٌ وإن لمْ يتكلَّمْ به ، فهو اعتراضٌ على الاستخدامِ اللفظي في حالِ المصدرِ فقط ، إلا أنني أنبهُ إلى استخدامِ لفظِ (استواء) وقرنه بالآيةِ الكريمةِ ممَّا يدلُّ على أنه من معنى التسويةِ والاستواءِ .

*** الأمر البين :**

يجعلُ أصحابُ الأشباهِ والنظائرِ[(١)] من (سواء) معنى الأمرِ البينِ في قوله تعالى : ﴿فَأَنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال:٥٨] ، و﴿فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖ﴾ [الأنبياء:١٠٩] .

ولكننَا ذكرنا في دراسةِ تحليلِ التراكيبِ أنَّ (سواءً) في الموضعَيْن تعنِي معنى الاستواءِ والتَّساوِي .

وذكر الجوهريُّ أن معنَى (سواءٍ) في الآيةِ الأولى السابقةِ : العدل[(٢)] .

*** معنى القصد :**

معنى (سواءٍ) حالَ إضافة (السبيلِ، أو : الصراطِ) بمعنى : القصد[(٣)] ، كما يذكر الزمخشريُّ : «ومن المجازِ : إذا صليتُ الفجرَ استوَيْتُ إليك :

---

(١) مقاتل ، الأشباه والنظائر ٩٩/ يحيى بن سلام ، التصاريف ١١١ ـ ١١٢/ ابن العماد ، كشف السرائر ٤٧ .

(٢) الصحاح ٦ ـ ٢٣٨٤ ، مادة (سواء) .

(٣) ارجع إلى كتب الأشباه والنظائر في الهامش (١) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قصدتُك قصدًا لا ألْوِي على شَيْءٍ»[١] .

وقد ذكرَ ابنُ هشامٍ أن (سواءً) تكونُ بمعنى القصدِ، فتُقْصَرُ مع الكسرِ، ثم يذكر : وهو أغرَبُ معانيها[٢] .

وقد ذكرنا معنى: الوسطِ والقصدِ حالَ إضافِتَها إلى: السبيلِ والصراطِ والجحيمِ ، وكلٌّ من المعنيَيْن جائزٌ ، واللهُ أعلم .

*** بمعنى غير :**

يذكرُ سيبويهِ (سواءً) بمعنى (غير) ، ويكررُ ذلكَ مَنْ جاء بعدَهُ من اللغويين[٣] .

ولكنه يوجد حدود لمبنى (سواء) بهذا المعنى ، فيذكرُ ابنُ هشامٍ : «وبمعنى مكانٍ أو غير على خلافٍ في ذلك ، فتُمَدُّ مع الفتحِ ، وتُقْصَرُ مع الضمِّ ، ويجوزُ الوجهانِ مع الكسرِ» . وبين هذا وما ذكره (ابن أبي الربيع) وما نقله (الجوهري) خلاف ، حيث لم يذكر المد مع الكسر[٤] .

ووجدتُه عندَ الصيمري مكسورَ السينِ حالَ ذكرِه مع الظروفِ ، ومفتوحَها حالَ ذكرِه مع الاستثناءِ، ولم أتبَيَّنْ أصلَ هذَا الضبطِ ، والمعلومُ

(١) الزمخشري ، أساس البلاغة ٣١٥ .
(٢) ابن هشام ، مغني اللبيب ١ ـ ١٤١ .
(٣) سيبويه ، الكتاب ١ ـ ٣١ ـ ٤٠٧/ الصيمري ، التبصرة والتذكرة ١ ـ ٣٨٣/ الراغب الأصفهاني ، المفردات ٢٥٢ .
(٤) ابن هشام ، مغني اللبيب ١ ـ ١٤١/ وانظر : ابن أبي الربيع ، البسيط ٢ ـ ٨٨٢/ الجوهري ، الصحاح ٦ ـ ٢٣٨٤ ـ ٢٣٨٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن سيبويهِ يجعل (سوى وسواء) ظرفًا ، كما أن الصيمريَّ يجعلُها ظرفًا في الموضعين[١] .

ولكن ابنَ يعيش يضبطُ سينَ (سواءٍ) في باب الاستثناء كما ضبطها ابنُ هشام ، ويذكر ظرفيتَها حينئذٍ[٢] .

والغيريةُ تعني الاستواءَ هنا ، فعندما يُقالُ : مررْتُ برجلٍ سواءك .. فإنما يرادُ أنه رجلٌ آخرُ غيرُك مساوٍ لكَ .

ويذكرُ ابنُ فارس : «وأما قولُهم : هذا سوى ذلك ، أي : غيرُه ، فهو منَ البابِ ، لأنه إذا كان سواه فهما كلُّ واحدٍ منهما في حيزه على سواءٍ ، والدليلُ على ذلك مدُّهم السواءَ بمعنى سوى .....»[٣] .

ولكن أبَا حيان يذكرُ خلاف ذلك في قوله : «وأما سواءٌ الواقعُ في الاستثناءِ في قولهم : قامُوا سواك ، بمعنى : قاموا غيرك ، فهو موافقٌ لهذا في اللفظ مخالفٌ في المعنى ، فهو من باب المشترك ..»[٤] .

وقد قرن أبُو البقاءِ بين معنى غيرٍ ومعنى العدلِ في (سواء) حالَ ذكرِ صيغتها لهما ، فإنّ ضمَمْتَ السينَ أو كسرتَهُ قصرْت فيهما جميعًا ، وإن فتحْتَ مددْتَ[٥] . ولكنها ـ كما ذكرنا ـ مع الكسرِ يجوزُ القصرُ والمدُّ .

---

(١) الصيمري ، التبصرة والتذكرة ١ ـ ٣١٣ ـ ٣٨٣ .
(٢) شرح المفصل ٢ ـ ٨٣ .
(٣) معجم مقاييس اللغة ٣ ـ ١١٣ (سوى) .
(٤) البحر المحيط ١ ـ ٤٥ .
(٥) أبو البقاء ، الكليات ٣ ـ ١٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

*** السَّوِيّ : بفتح فكسر فتضعيف**[١] .

يقال : رزقَكَ اللهُ ـ تعالى ـ ولدًا سَوِيًّا: لا داءَ به ولا عيْبَ ، وفيه النصفةُ والسويةُ، كما يقال: هما على سويةٍ من هذا الأمرِ، أي: على سواءٍ، وقسَّمْت الشيء بينهما بالسَّوِيَّة ، ورجلٌ سويُّ الخُلقِ ، أي : مستوٍ .

وأنتَ ترى أن فيها معنَى التسويةِ أو الاستواءِ ، فكلُّ من التعبيراتِ السابقةِ تدلُّ فيها كلمةُ (السويِّ) على معنى الاستواءِ والتسويةِ مع الآخرين .

*** سَوَّى ، بفتح فتضعيف بالفتح الطويل :**

أي : سَاوَى ، وفيها معنى التَّساوي ، كما يمكن أن يُلتمسَ فيها هذا المعنى في مواضِعِها في القرآن الكريم .

*** اسْتَوَى : في صيغة (افتعل) :**

أي : استوْلَى وظَهَر ، واسْتَوىَ إلى السماءِ ، أي : قَصَد .

واستوى الشيءُ : اعْتَدَلَ .

ومنه:اسْتَـوَى على الدَّابَّة،وعلى السريرِ والفراشِ،وانتهى شبَبُه واسْتوَى ، واسْتَوَى على البَلَدِ[٢] .

«واسْتَـوَى يقالُ وجهيْن ، أحدُهما : يسندُ إليه فاعلان فصاعدًا ، نحو :

---

(١) انظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ٣١٥ (سوى) / الجوهري ، الصحاح ٦ ـ ٣٢٨٥ (سوا) .

(٢) انظر المصدرين السابقين .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

استوى زيدٌ وعمرٌو في كذا، أي: تَساويَا .. والثاني أن يقالَ لاعتدالِ الشيْءِ في ذَاتِه»[(١)] .

ويتلمس معنى الاستواءِ في كل الأوجهِ الدلاليةِ لهذا المبنى ، حيث يصيرُ الشيءُ بأجزائِهِ مستويًا لدى مَنْ يُسْنَدُ إليهِ الفعلُ .

* **سُوًى : بضم ففتح :** ذكر فيها ثلاثةُ معان[(٢)] :

تقول : مررتُ برجلٍ سُوَاكَ وسِوَاك ، وسَوَائِكَ ، أي : غيرك . وقد ذكرنا أن (سواء) بمعنى (غير) تُقْصَرُ مع الضَّمِّ .

وتأتي (سوى) بمعنى (وَسَط) ، فَمَكَانٌ سُوًى وَسَطٌ ، ويقال : سَوَاءٌ وسِوًى وسُوًى ، أي : يَسْتَوى طرفَاهُ . ومنه قولُه تَعالَى : ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ [طه] ، أي : مكانًا وَسَطًا.

ومكانُ سُوًى ، أي : مَعْلَمٌ ، قد علم القومُ الدخولَ فيه والخروجَ منه .

وفي كلٍّ من المعاني الثلاثةِ معنَى الاستواءِ والتسويةِ ، فالغيريةُ تعنى الاستواءَ في مثلِ استخدامِ هذا اللفظِ ، كما ذكرنا سابقا .

والاستواءُ يتَّضِحُ في معنى الوسَط ، أما معنى الـمَعْلَم فإنه يعنى به أنه متساوٍ لدى الجميعِ في معرِفَتِهِمْ إيَّاه ، وعلمِهِم به ، واستخدامِهِم له .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات ٢٥١ (سوا) .

(٢) ارجع إلى : ابن فارس ، مقاييس اللغة ٣ ـ ١١٢/ الراغب الأصفهاني ، المفردات ٢٥٢/ الصحاح ٦ ـ ٢٣٨٥ (سواء)/ أبو حيان الأندلسي ، تحفة الأريب ١٤٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

*** السِّيّ : بكسر فتضعيف :**

منه السِّيُّ : الفضاءُ من الأرض ، ففيه معنى الاستواءِ .

والسِّيُّ : الـمِثْل ، أو الـمُساوِي ، وسِيَّانِ : مِثْلَان ، تقول : سِيَّانِ زيدٌ وعمرٌو ، ومنه قولُ حسانِ بنِ ثابتٍ :

مَنْ يَفْعَلِ الحَسَناتِ اللهُ يشكُرُها والشرُّ بالشَّرِّ عندَ اللهِ سِيَّانِ

أي : مِثْلَان ، وأَسْوَاء : جمع سِيّ ، فيقال «قَوْمُ أَسْوَاءٌ وَمُسْتَوُون»[(١)] .

ولا جدَال في معنى الاستواءِ والتسويةِ في معنى المثلِ .

*** سِوَى : بكسر ففتح :**

تأتي على ثلاثةِ معانٍ[(٢)] :

بمعنى (غير) ، وقد ذكرنا أن ابن فارس يربطُ بينَ المغايرةِ والتساوِي ، كما ذكرنا ضمَّ السين فتقصر ، وفتحَها فتمد ، وكسرَها فيجوز الوجهان .

وقد تأتي بمعنى القَصْدِ ، فنقول : قَصَدْتُ سوى فلان ، أي : قَصَدْت قَصْدَه ، أو كما يقال : قصدت قصده .

كما أنها قد تأتي بمعنى البدلِ والمكانِ فيقال : عندي رَجلٌ سِوَاك ، أي : مكانَكَ وبَدَلَك ، وذكر سيبويهِ أن الخليلَ يقول ذلك إلا أن في (سوى)

---

(١) المواضع السابقة ، والبيت موجود في : الكتاب ٣ ـ ٦٥/ الخصائص ٢ ـ ٢٨١/ المنصف ٣ ـ ١١٨/ شرح المفصل ٩ ـ ٢ ـ ٣/ الهمع ٢ ـ ٦٠/ الخزانة ٣ ـ ٦٤٤ ـ ٦٥٥ ، ٤ ـ ٥٤٧ .

(٢) ارجع إلى : المقاييس ٣ ـ ١١٢/ المفردات ٢٢/ الصحاح :مادة (سواء) ٦ ـ ٢٣٨٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معنى الاستثناء[١] .

وعندما يذكرُ ابنُ هشام أن (سواء) تكون بمعنى (مستوٍ) يقولُ : «ويوصفُ به المكانَ بمعنى أنه نصف بين مكانيْن ، والأفصحُ فيه ـ حينئذٍ ـ أن يقصرَ مع الكسرِ ، نحو : مكانًا سوى ، وهو أحدُ الصفاتِ التي جاءت على (فِعَل) ـ بكسر الفاء وفتح العين ـ كقولهم : ماء رِوًى ، وقوم عِدًى ، وقد تمدُّ مع الفتحِ ، نحو : مررْتُ برجلٍ سواءٍ والعدُم»[٢] .

يذكر أبُو البقاءِ أن سوَى بالقصرِ ظرفٌ من ظروفِ الأمكنَةِ ، ومعناها إذا أضيفت إلى نكرةٍ كمعنى : مكانك ، وما بعد (سوى) مجرورٌ ، وليس داخلًا فيما قبلَها .

وإن أضيفتْ إلى معرفةٍ صارت معرفةً لأن إضافَتَهَا كإضافةِ خلفكَ ، وقدامك ، بخلاف (غير) فإنها تبقى على تَنكُّرِها[٣] .

*** المُسَاواة : على وزن (مُفَاعَلة)[٤] :**

وهي متعارَفَةٌ في المثمنات، يقال: هذا الثَّوبُ يساوِي كذا ، وأصلُه من :

---

(١) انظر : الكتاب ٢ ـ ٣٥٠ .

(٢) مغني اللبيب ١ ـ ١٤١ ، وفي قولِهِ ـ تعالى ـ : ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ٥٨﴾ [طه] ، قرئ (سوى) بكسرِ السين وضمِّها ، ومنونًا وغيرَ منون ، ومعناه منصفًا بيني وبينك ، عن مجاهد : وهو من الاستواء ، لأن المسافةَ من الوسَطِ إلى الطرَفَيْن مستويةٌ لا تفاوتَ فيها ، ومن لم ينون فوجهه أن يجرى الوصل مجرى الوقْفِ . (الكشاف ٢ ـ ٥٤٢) .

(٣) أبو البقاء ، الكليات ٣ ـ ١٥ ـ ١٦ .

(٤) الراغب الأصفهاني ، المفردات ٢٥٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ساواه في القَدْر ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ﴾ [الكهف:٩٦] .

انتماؤها الاسمى

يختلف النحاةُ فيما بينَهُم في نسبِ (سواء) إلى المجموعاتِ الاسميةِ ، حيث :

* يجعلها أغلبُهم مصدرًا من الفعل:اسْتَوَى، أو: سَوَّى، وهي حينئذٍ ـ اسم مصدرٍ لأنها لم تأتِ على القياسِ : استواءً أو تسويةً .

* ويجعلها بعضُهُم اسم فاعلٍ بمعنى (مستوٍ) .

وهم بين هذا وذاك ينطلقُونَ من التقديرِ اللفظي الذي يفرضُهُ الفهمُ المعنويُّ للتركيبِ الذي وردت فيه (سواءٌ) ، بمراعاةِ العلامةِ الإعرابيةِ التي نُطِقَتْ بها .

ففي قولِهِ تعالَى:﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٤] ، يؤولون قراءةَ النصبِ بأن (سواءً) مصدرٌ ، فهو في موضعِ استواءٍ ، أي : استوتِ استواءً .

أما قراءةُ الجرِّ فيجعلونَهُ على الصفةِ لكملةٍ ، أي : كلمة مستوية[(١)] .

ويجمع أبُو حيان بين الاتجاهَيْنِ في قوله :

---

(١) انظر : القيسي ، مشكل إعراب القرآن ١ ـ ١٤٣/ العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ١ ـ ١٣٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

« (سواء) بمعنى : استواء ، مصدر استوى ، ووصف به بمعنى : مستوٍ فتحمَّلَ الضميرَ»[١] .

ويشيعُ هذان الاتجاهانِ فيما وضحناه أثناءَ تحليلِ التراكيبِ .. لكنه يمكنُ القولُ أن الاتجاهَ الأكثرَ شُيُوعًا أن (سواء) مصدرُ في كلِّ أحوالها ، وفي كل تراكيبها ، وكما يذكر صاحبُ الْـمُشْكِل : «والمصدرُ يأتي بمعنى اسمِ الفاعلِ ، فسواءٌ وإن كان مصدرًا ، فهو بمعنى مستوٍ ، كما قالوا : رجلٌ عدلٌ بمعنى عادل ، وعلى ذلك أجاز سيبويه وغيره : مررت برجلٍ سواءٍ درهمُه وبرجلٍ سواءٍ هو والعَدَمُ ، أي : مستوٍ ..»[٢] .

وعندما عرَّف أبُو البقاء (سواءً) بأنها اسمٌ بمعنى الاستواءِ ، ذكر أنه : يوصف بها كما يوصفُ بالمصادِرِ[٣] .

أصولها الجذرية

لا خلافَ في أن أولَ أصولها وثانيها هو السينُ ، والواوُ ، ويذكر صاحبُ الصحاح أن «سِيَة يجوز أن تكون فعةً أو فلةً، إلا أن (فعةً) أقيسُ، لأن أكثرَ ما يلغون موضعَ اللام، وانقلبت الواوُ في سية ياءٌ لكثرةِ ما قبلَهَا، لأن أصلَهَا سِوْيَة»[٤] .

وبذلك يكونُ أصلُ لامِهَا يَاءٌ .

---

(١) البحر المحيط ١ ـ ٤٤ .
(٢) مكي القيسي ، مشكل إعراب القرآن ٢ ـ ٩٦ .
(٣) أبو البقاء ، الكليات ٣ ـ ١٤ .
(٤) الصحاح ٦ ـ ٢٣٨٥ (سوا) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويذكر أبو حيان أن همزةَ سواءٍ منقلبةٌ عن ياءٍ ، فهو من بابِ (طوَيْتُ) ، ولكنه يذكر «وقال صاحبُ اللوامح : قرأ الجحدري : (سواء) بتخفيف الهمزةِ على لغةِ أهلِ الحجازِ ، فيجوزُ أنه أخلصَ الواوَ ، ويجوز أنه جعلَ الهمْزَةَ بينَ بينَ ، وهو أن يكونَ بين الهمزةِ والواوِ ، وفي كلا الوجهَيْن لابدَّ من دخولِ النقْصِ فيما قبلَ الهمزةِ الملينة من المد .

فعلى هذا يكون (سواء) ليس لامه ياءً ، بل واوًا ، فيكون من باب (قوَاء) [١] .

أما وزن (سواءٍ) فهو (فَعَال) ، حيث الهمزةُ منقلبةٌ عن أصلٍ ، وهي الياءُ ـ على الأرجح ـ أو الواوُ ، وهو لامُ الكلمةِ .

تلزم الإفراد

* ولإجراءِ (سواء) مُجْرَى المصْدَرِ ، فإنها لا تُثَنَّى ولا تُجْمَعُ ، يذكرُ عندَ سيبويه «ومنه مررتُ برجلَيْن سواءٍ على أنهما لم يزيدَا على رجلَيْن ، ولم ينقصا من رجلَيْن ...» [٢] .

ويستَغْنى بالمثنى (سِيَّان) تثنية (سِىّ) عن مثنى (سواء) ، فقالوا : هما سِيَّان .

ولكنه يذكر عن أبي زيد تثنيتَه ، فيقول : هُمَا سَوَاءَان ، وبعد أن يذكر صاحب الصحاح المثَلَ : هُمَا في هذا الأمرِ سَوَاءٌ ، يعود فيقول : «وإن شِئْتَ : سَوَاءَانِ ، وهم سواءٌ للجميع، وهم أَسْوَاءٌ ، وهم سَوَاسِيَةٌ مثل

(١) البحر المحيط ١ ـ ٤٥ .
(٢) الكتاب ١ ـ ٤٣١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثَمانِيَةٌ على غيرِ قِيَاسٍ ، قال الأخفش : ووزنه فَعَافِلَة ، ذهب عنها الحرفُ الثالثُ ، وأصلُه الياء»[١] .

ولفظ (سواءٍ) في الآياتِ الكريمة السابقة على لفظها (سواء) في مواضعها ، فلم تُؤَنَّثْ مع المؤَنَّثِ ، كما في قوله تعالى : ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ [فُصِّلَت] ، حالَ الخَفْضِ صفةً لأربعةٍ ، أو (أَيَّامٍ) ، وكلاهُمَا يؤنث .

كما لم تجمع حالَ حاجَتِها إلى الجمَع ، كما في قولِهِ : ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ [النساء:٨٩] ، وقوله تعالى : ﴿فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ﴾ [الروم:٢٨]، وقوله تعالى : ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾ [آل عمران:١١٣]، وقوله تعالى: ﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [النحل:٧١] .

فيخبر بسواء التي بمعنى (مستو) عن الواحد فما فوقه .. لأنها في الأصل مصدرٌ بمعنى الاستواء[٢] .

(١) الصحاح ٦ ـ ٢٣٨٥ (سوا) .
(٢) ابن هشام ، مغني اللبيب ١ ـ ١٤٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القسم الثالث
الخصائص التركيبة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تختلفُ طبيعةُ التركيبِ الذي تَرِدُ فيه (سواءٌ) باختلافِ :

* مدلولها في التركيب .

* واستعمالها اللغوي .

* وطبيعتها الدلالية .

أما من حيث المدلولُ فقد حصرناهُ في معاني :

التسويةِ والاستواءِ ، التام ، القصد ، الأمر البين ، الوسط ، وغير .

وأما من حيث الاستعمالُ اللغويُّ ، وهو ما أقصد به هنا : التقدير الانتمائي إلى إحدى المجموعاتِ الاسميةِ النحويةِ ، فإننا نجد أن (سواء) يمكن أن تقدرَ :

* ظرفًا .

* اسمًا مصدرًا لا غير .

* صفةً .

* فعلًا أو ما فيه معنى الفعلِ .

أما المعاني الأربعةُ الأولى (التسويةُ ، والتامُّ ، والقصدُ ، والأمرُ المبينُ) فهي تتفقُ مع الاستعمالاتِ اللغويةِ الثلاثةِ الأخيرة .

والاستعمال اللغوي الأول (الظرفية) يتفقُ مع معنى (الوسط) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا إلى جانبِ مراعاة الطبيعةِ الدلاليةِ لكلمة (سواء) ، حيث تعني المساواةَ أو التساوي بين طرفين غالبا ، فإذا استدْعَتْهُما فإن التركيبَ تختلفُ طبيعتُه باختلاف موضعِ ذكرهما .

فالكلمةُ بوضعها في التركيبِ هي التي تستدعى غيرَها من كلماتٍ متطلبةٍ لأداءِ دورِها الدلاليَّ فيه .

وأرى أن أعرضَ في إيجازٍ طبيعةَ التراكيبِ التي تذكر فيها (سواء) ، فقد حللت تفصيليا في القسمِ الأولِ من هذه الدراسةِ .

كما أرى أن يكونُ إيجازها تبعا للاستعمالِ اللغوي لسواء ، فإن الخلافَ والوفاقَ في التراكيبِ التي بين يدينا تتأثرُ بهذا الاتجاهِ .

ومن خلالِ ذلك نعرض الأحوالَ الإعرابيةَ لكلمةِ (سواء) تبعا لاستعمالِها اللغوي .

استعمالها ظرفـا

إذا استعملت (سواءٌ) في معنى الظرفيةِ ، أي : معنى الوسطِ أو البدلِ أو المكانِ فإنَّ تركيبَها اللغويَّ ينقسمُ إلى قسمين ، بينهما اتفاقٌ وخلافٌ :

أما جهة الاتفاق فهي أن (سواءً) تكون مضافةً كغيرها من الظروف . ذلك أن الظروفَ ملازمةٌ للإضافةِ ، إما : لفظًا ومعنًى ، وإما معنًى .

لأن الظرفَ لا يبينُ مدلولُه إلا من خلال ما يضافُ إليه[1] .

---

(١) ارجع إلى : المبرد ، المقتضب ٤ ـ ٣٤١/ ابن يعيش ، شرح المفصل ٤ ـ ١٠١/ ابن عقيل ، المساعد ١ ـ ٢٩٩ ـ ٥١٢/ السلسيلي ، شفاء العليل ٢ ـ ٧١١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما الخلافُ فيبدو في :

* أن أحدَهما قد لا يسبقُ بحرفِ جر ، وحينئذ تكون (سواء) منصوبةً ، ويتضح هذا في المواضعِ الأربعةِ الأولى من التركيبِ الثاني ، ومثالُه قولُه تعالى : ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ [البقرة ، المائدة:١٢، الممتحنة:١٠] .

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص] .

ولما كانتْ (سواءٌ) في هذه المواضع تفسرُ بمعنى : وسط أو قصد ، فإن إعرابَها يكون النصبَ على الظرفيةِ(١) ، أو على نزعِ الخافضِ ، ذلك تبعا لطبيعةِ معنى الفعلِ ، وما يلزَمُه من تعلقٍ من عدمه .

ولكن (سواءً) فقد تفسرُ في هذه المواضعِ على أنها بمعنى (غير) ، كما ينقل النحاةُ عن سيبويه ، فيذكر الصَّيْمَري :

«واعلم أن (سوى وسواء) في معنى غير ، وهما ظرفان يستَثْنَى بهما ، كما يستثنى بغير ، إلا أنهما لا يُرْفَعَان ، والمقصورةُ لا يتبين فيها الإعرابُ ، والمنصوبةُ أبدا لما قدمنا في بابِ الظروفِ ... ويذكر في موضعٍ آخر: ومن ذلك سواءٌ ، كقولك : مررتُ برجل سواءك ، ولا يكون إلا منصوبًا ، لأنه ظرفٌ غيرُ متمكن .....» (٢) .

أما ابنُ هشامٍ فيذكر أنه عند سيبويه والجمهورِ ظرف مكانٍ ملازمٍ للنصب ، لا يخرجُ عن ذلك إلا في الضرورة ، وعند الكوفيين وجماعةٍ أنها

(١) ارجع إلى : العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ١ ـ ٥٧ ـ ٢١١ .
(٢) الصيمري ، التبصرة والتذكرة ١ ـ ٣٨٣ ـ ٣١٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ترد بالوجهين .. [١] .

ويعلل ابنُ أبي الربيعِ لما ذهبَ إليه سيبويه ، كما يردُّ عليه ، في قوله : «الذي دعا سيبويه أن جعلها ظرفًا أمران :

أحدهما : عدمُ تصرفِهَا ، وعدمُ التصرف إنما يوجد في الظروف وفي المصادر وفي الأسماءِ المبهمةِ ، فإن جعلنا (سوى) ظرفًا فيكون عدم تصرفه له نظيرٌ ، وإن جعلناها غير ظرف لم يكن لذلك نظيرٌ ، وبلا شك أن ماله نظيرٌ أولى في الظن مما لا نظيرَ له .

الثاني : أن سيبويهِ رحمهُ الله ـ حكى أن العرب تقول : مررتُ بمَنْ سواك، ومَنْ هنا بمنزلة الذي، ولابد لها من صلة ، والصلة ظرف أو جملة، فلا يمكنُ أن تكونَ جملةً لنصبها ، فلم يبقَ هنا إلا أن تكون ظرفًا ، ويكون التقديرُ : بمَنْ مكانك ، أي : لم أمرَّ بِك ، وفيها معنى الاستثناءِ»[٢] .

وأرى أن النحاةَ لم يستطيعُوا أن يتحسسوا ما أراده سيبويه ، فراحوا يتناقلون تأويل (سواء) في مثل هذا التركيب مقرونًا بغيرٍ منسوبًا إلى سيبويه .

وعودةً إلى نص سيبويه المذكورِ في كتابه، حيث يقول: ومن ذلك أيضًا: هذا سواءَك ، وهذا رجلٌ سواءَك ، فهذا بمنزلة (مكانك) إذا جعلته في معنى (بدلك) ، ولا يكونُ اسمًا إلا في الشعر ، قال بعضُ العرب لما اضطر

(١) ابن هشام ، مغني اللبيب ١ ـ ١٤١/ وانظر : ابن يعيش ، شرح المفصل ٢ ـ ٨٣ .
(٢) ابن أبي الربيع ، البسيط ٢ ـ ٨٨٣/ وارجع إلى : الكتاب ١ ـ ٤٠٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في الشعرِ جعله منزلةَ (غيرٍ) ، قال الشاعرُ ، وهو رجلٌ من الأنصار[١] :

ولا ينطقُ الفَحْشَاءَ من كانَ منهُمُ إذا قَعَـدُوا منَّـا ولا مِـنْ سَـوَائِنَا

وقال الآخر ، وهو الأعشى[٢] :

تَحَـانَفُ عـن جـوِّ اليَمَامَـةِ نَـاقَتِي وما قصدت من أهلها لسَوائِكَا[٣]

ونلحظُ في نصِّ سيبويه ما يلي :

* يشير اسمُ الإشارةِ (ذلك) إلى ما ينتصبُ من الأماكنِ والوقتِ .

* أنه جعل (سواءً) هنا ممدودةً وليست مقصورةً .

* أنه جعلها بمنزلةِ (مكانك) التي هي في معنى (بدَلك) ، وليس في منزلة (غير) .

ومكان تنصبُ على الظرفية .

* أنه جعلها بمنزلةِ (غير) اضطرارًا في الشعر ، وأرى أن المقصودَ بجعلها بمنزلة (غير) هنا في الاستخدام اللغوي من حيث سبقها بحرفِ جر ، كما ورد في الشاهدين المذكورين اللذين تناقلَهُمَا النحاةُ عن سيبويه .

ومدلولُ المكانيةِ أو البدلية تتلاءمُ مع مدلولِ التسويةِ ، فالشيءُ مكان الشيء أو بدله إنما يعنى مساوٍ لَهُ في الغرض منه .

---

(١) الكتاب ١ ـ ٣٢ ـ ٤٠٨/ المقتضب ٤ ـ ٣٥٠/ شرح المفصل ٢ ـ ٤٤ ـ ٨٤/ الهمع ١ ـ ٢٠٢/ الخزانة ٢ ـ ٦٠ .

(٢) المواضع السابقة .

(٣) سيبويه ، الكتاب ١ ـ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويمكنُ تلمسُ معنى المكانيةِ في الآياتِ الكريمةِ السابقةِ في المواضع الأربعة ، فمعنى قوله ـ تعالى ـ :﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ [البقرة]، أي : قد ضل مكانَ الطريق المستقيم ، ومعنى قوله : ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص] ، أي : عسى أن يهديني مكانَ الطريقِ المستقيمِ ، والله أعلم .

وبهذا فإنه لا جدالَ في أن (سواء) في هذه المواضعِ تنصبُ على الظرفيةِ المكانيةِ ، أو على نزعِ الخافضِ ، وهي تؤدي معنى الظرفيةِ.

* وأما القسمُ ا لآخرُ من وقوع (سواء) ظرفًا فيختصُّ بسبقها بحرفِ جر ، وحينئذٍ تعرب مجرورةً بما سبقها من حرفِ جر ، ومثالهُ قولُه تعالى :

﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة] .

﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة] .

﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ [ص] .

﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ [الدخان] .

﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصافات] .

ولو أحللنا (مكانَ) محلَّ (سواءٍ) لكانَ المعنى مستقيمًا ـ والله أعلم ـ لذا فإن سواء هنا بمعنى : مكان .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهنا يخالفُ سيبويه في قصرِ (سواء) في هذا المعنى على الظرفيةِ المنصوبةِ لا غير ، ويجعل جرَّها بحرفِ الجرِّ اضطرارًا .

وإذا كان قد جعلها بمنزلة (مكان) ، فـ (مكان) ظرفٌ متصرفٌ ، وليكنْ (سواء) في حال ظرفيتها متصرفةً كذلك ، كما هو في هذه المواضع .

وإذا كان حرفُ الجر الذي يسبق به (سواءُ) قد اختلف في شاهدي سيبويه بين (من، واللام)، فإنه يختلف في الآياتِ الكريمِة بين (عن، وإلى، وفي) ، والفعل هو الذي يتطلبُ حرف الجرِّ ، كما أن معناه هو الذي يتخبرُ حرفَ الجر .

استعمالها اسما مصدرا لا غير

قد تستعمل (سواء) اسمًا مصدرًا لا غير، أي: مصدرًا لا يؤول بمشتق، فنجد أن من طبيعةِ تركيبِه :

* أن أطرافَ التسويةِ تذكرُ سابقةً على (سواء) ، وتستنتجُ من خلال التركيب ، ولا يلزم ذكرها منظمة ، ولكن لابدَّ من لَمْسِ عنصرِ التناقضِ بين الطرفين .

* تسبقُ (سواء) بحرفِ الجر (على) ، وتكون مجرورةً به .

* لم تضف (سواء) ، ولذا فهي منونةٌ .

ذلك في قوله تعالى :

﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال:٥٨] .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنبياء:١٠٩] .

* وتحتمل (سواء) هنا دلالةَ الظرفيةِ ، ويكون التقديرُ : على طريقٍ سواءٍ ، أو : على استواءٍ .

وذكر حرف الجر (على) يعنى به الاستعلاءُ في هذا الموضع،لأن الجهريةَ بالمخالفةِ التي تحققُ طرفي التسوية يلزمُها ثباتٌ وثبوتٌ ، وهذا مما يجيزُ الاستعلاءَ ، وقد يكون هذا من قبيل الاستعلاءِ المعنوي[(١)] .

استعمالها صفة :

قد تستعمل (سواءٌ) لغويا صفةً ، فيكون دورُها في التركيبِ دورَ الاسم الذي يصح استعمالُه صفةً ، فتقعُ :

مرفوعةً ومخفوضةً ومنصوبةً، مبتدأً، وخبرًا، وحالًا، ومصدرًا ، ونعتًا.

* أما طرفا التسويةِ فإن موضعَ ذكرِها يختلفُ باختلافِ موقِعِها الإعرابي، ففي حالِ الابتدائيةِ والنعتِ يُذْكران بعدها .

وفي الأحوالِ الأخرى يُذْكَران قَبْلَها .

وقعت (سواءٌ) خبرًا في قوله تعالى :

﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الروم:٢٨] .

﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [النحل:٧١] .

﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ [آل عمران:١١٣] .

(١) الرماني ، معاني الحروف ١٠٨/ ابن هشام ، مغني اللبيب ١ ـ ١٤٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩] .

يلحظ وقوعُها مرفوعةً في الموضعين الأولِ والثاني ، ومنصوبةً في الموضعين الثالثِ والرابعِ .

كما وقعت صفةً ومصدرًا وحالًا ومبتدءًا تبعا للتقديرِ الموقعي ، والتأويلِ اللفظي لما فيه من تركيب،وللقراءةِ التي وردت عليها،في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ [فُصِّلَت] .

وقرئت (سواء) بالنصب والخفض والرفع .

وقوله تعالى : ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران:٦٤] .

وقرئت (سواء) بالخفض والنصب .

وقد فسرنا ذلك سابقا من خلال تحليل التراكيب .

إلا أن ما أودُّ أن أشيرَ إليه هو أن سيبويهِ قد ذكرَ وقوعَ (سواءٍ) نعتًا ، ومصدرًا ومبتدءًا[1] .

استعمالها فعلا أوما فيه معناه

قد تستعملُ (سواء) لغويا بمثابةِ الفعلِ أوما فيه معنى الفعلِ وعمله من الصفاتِ المشتقةِ ، وحينئذٍ تأتي في نظامين من التراكيب اللغوية :

أولُهما : أن يذكرَ طرفَا التسويةِ المتناقضَان بعدها .

---

(١) ارجع إلى : الكتاب ١ ـ ٤٣٠ ، ٤٣١/ ٢ ـ ٢٤ إلى ٢٧ ـ ١١٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما الآخرُ: فهو أن يذكرَ طرفا التسويةِ المتناقضَان قبلَها .

ذلك على النحوِ التالي :

الأول : أن يذكرَ طرفَا التسويةِ المتناقضان بعدها . يلزم التركيبُ على هذا النحو نظامًا لغويًا معينًا يحوى بعضَ الأدواتِ النحويةِ الملائمةِ لمعنى التسويةِ وهذا النظام من التركيب ، حيث يجب أن يكونَ كما يلي :

أ ـ تذكر سواءٌ في صدرِ التركيبِ مجردةً منونةً ، قد تتعلقُ بها شبهُ جملةٍ مصدرةٍ بحرفِ الجر (على) ، أو (مِنْ) تبعا للمعنى المقصودِ من التسويةِ ، وقد لا تتعلقُ بها شبهُ جملةٍ .

ومن أمثلةِ ما تعلق بها شبهُ جملةٍ مصدرةٍ بالحرف (على) قوله تعالى : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة:٦، يس:١٠] ، ومثال ما تعلقَ بها شبهُ جملةٍ مصدرةٍ بالحرفِ (مِنْ) قولُه ـ تعالى : ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد:١٠] ، ومثال ما لَمْ يَتعلقْ بها شبهُ جملةٍ قولُه تعالى : ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥] .

ب ـ أن يذكر بعد ذلك الطرفَان المتناقضَانِ ، وهما طرفَا التسوية ، ويكون نظامُها اللغويُّ على وجهين :

أولهما : أن يكونَا مفردَيْن ، مشتقَّيْن ، أو غيرَ مشتَقَّيْن ، فيفصلُ بينهما بحرفِ العطفِ (الواو) ، ولزم الواوُ هنا لأن التسويةَ ـ كما ذكرنا ـ تستلزم وجودَ طرفَيْن على الأقلِّ ، فمثالُـها في ذلك مثالُ صيغِ المشاركةِ من الأَفْعَال لا يتمُّ معنَاهَا إلا بالطرفِ الثاني .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولهذا فإن سيبويه يقبِّحُ القولَ: مررتُ برجلٍ سواء والعدمُ، حتى تقول: سواء هو والعدمُ ، لأن في سواء اسمًا مضمرًا مرفوعًا ، والعدمُ معطوفٌ على هذا المضمر(١) .

فلابدَّ من وجودِ طرفَيْن للتسويةِ ، وقد ذكرنا أن الطبيعةَ اللغويةَ للكلمةِ تستدعى غيرَهَا من الكلماتِ .

ومثالُ ما جاءَ مشتقًّا من طرفي التسويةِ ما ذكر في سورةِ الحجِّ من قوله تعالى : ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥] .

ومثال ما جاء غيرَ مشتق قولُه تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد:١٠] .

وهما بمثابةِ المشتق في التقديرِ : سواء منكم السارُّ بالقول والجاهِرُ به .

وعليه فإنه يجوزُ القولُ : سواءٌ عندي فلانٌ وفلانٌ ، وسواء على المجيءُ والقعودُ .

وضابطه أنه يمكنُ أن يحلَّ محلَّ طرفَي التسويةِ (أيّ) فتقول : سواء عندي أيهما ، وسواء علىَّ أيهما .

ثانيهما : أن يكون طرفا التسوية جملتين حدثيتَيْن ، ويلزمُ توافرُ ما يلي في هذا التركيب :

* أن تكونَ الجملتَان متناقضَتَيْنْ .

---

(١)الكتاب ٢ ـ ٣١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* أن تذكرَ الجملةُ المثبتةُ أولا .

* أن تكونا خبريتَيْن .

* أن تكونا فعليتَيْن ، وقد تكون إحداهما اسميةً خبرُها صفةٌ مشتقة ، وقد مثل النحاة لذلك كثيرًا ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ [الأعراف] .

* أن تكون الجملتان في تأويل المفردَيْن المعطوفَيْن بالواو .

* أن يصدرا بهمزةِ الاستفهامِ ، أو : همزةِ التسويةِ ، وقد تطرحُ لدلالةِ (أَمْ) عليها ، ومنه قراءةُ ابن محيصن : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة:٦] .

* تتوسط الجملتَيْن (أَم) المعادلةُ ، أو المتصلةُ التي لا يستَغْنِي أي مما قبلها أو مما بعدَها عن الآخر .

* تغنى (الهمزةُ) و (أَمْ) عن (أَيْ) ، ولهذا فيصح حلولُ (أي) محلهما .

* التركيبُ المصدرُ بهمزةِ الاستفهامِ لا يدلُّ على استفهامٍ ، وإنما هو إخبارٌ للتسوية ، يحتمل التصديقَ والتكذيب .

* لا يحتاجَ هذا التركيبُ إلى جوابٍ حَتْمى .

ومثالُه ، إلى جانب ما ذكرنا في سورة البقرة وسورة الأعراف ، قوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا ﴾ [إبراهيم:٢١] ، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الشعراء] .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي هذا المجال على أن أثبت ما ذكره مكي بن أبي طالب القيسي في مشكله من القول :

«إذا وقعت ألف الاستفهام مع التسوية على ماض دخلت (أم) بعدها على ماض أو على مستقبل ، أو على جملة ، نحو : (أم أنتم صامتون) .

وإذا دخلت الألف بعد التسوية على اسم جئت بأم بين الاسمين، نحو: سواء على أزيد عندك أم عمرو . وإن لم تدخل ألف الاستفهام جئت بالواو بين الاسمين ، نحو : سواء على زيد وعمرو»[(١)] .

والثاني : أن يذكرَ طرفَا التسويةِ قبل (سواء) ، ويجب أن يتوافرَ في مثلِ هذا التركيبِ ما يلي :

* أن يكون طرفَا التسويةِ جملتَيْن حدثيتَيْن .

* أن يكونا متناقضتَيْن في المعنى .

* أن تكونا فعليتَيْن .

* أن تكون المثبتةُ أولا .

* أن تكونَا في تأويل المفردين المعطوفَيْن بالواو .

* أن يكونا في نظام لغوي يوجب الابتداء به ، كالأمر .

* أن يفصلَ بينهما بحرفِ العطف (أَوْ) ، لتضمُّنِهِمَا معنى الشرط .

* لا يحتاجان إلى همزةِ استفهامٍ ، وأَمِ المعادلِة فكلٌّ من الاستفهام والأمر طلبٌ .

---

(١) القيسي ، مشكل إعراب القرآن ١ ـ ٤٤٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومثالُه قوله تعالى : ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [الطور:١٦] .

وأنوه إلى أن اللغويين يقدرُون محذوفًا بعد (سواء) ، يدلُّ عليه ما سبق من القول «اِصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا» .

وبين استعمال (أَمْ) و (أَوْ) في تركيبِ (سواءٍ) خِلَافٌ ، فيذكرُ سيبويه في القول : (لأضربنَّهُ ذَهَبَ أَوْ مَكَثَ) : «وزعم الخليل أنه يجوز :لأضربنَّه أَذَهَبَ أَمْ مَكَثَ ، وقال : الدليل على ذلك أنك تقول : لأضربنَّك أي ذلك كان .

وإنما فارقَ هذا سواءً وما أبالي ، لأنكَ إذا قلتَ : سواءٌ على أذهبتَ أمْ مكثْت ، فهذا الكلامُ في موضع : سواءٌ على هَذَان ، وإذا قلْت : ما أبالي أذهبْتَ أمْ مكَثْت ، فهو في موضع : ما أبالي واحدًا من هذَيْن ، وأنت لا تريدُ أن تقولَ في الأولِ : لأضربَنَّ هذَيْن ، ولا تريدُ أن تقولَ : تناهيْت هذَيْن ، ولكنك إنما تريدُ أن تقولَ : إن الأمرَ يقعُ على إحدى الحالَيْن»[(١)] .

ويوضحُ السيرافي قولَ سيبويه السابقَ في أنَّ الذي بعد (سواء) بمنزلةِ خبرِ المبتدأِ،والذي بعد (أُبالي) في موضع المفعولِ لأُبالي، والذي بعد لأضربنه إنما أتى بعد تمامِ الكلَام على وجهِ الشرطِ للكلَامِ فاختيرِ فيه (أَوْ) .

فهذان موضعان لدخولِ (أَمْ) و (أَوْ) ، والفرقُ بين طبيعةِ تركيبِ كلٍّ منهما عن الآخر .

(١) سيبويه ، الكتاب وهامشه ٣ـ١٨٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولكن ابنَ هشامٍ يذكر في إبدالِ (أَمْ) بـ (أَوْ) : «إذا عطفْتَ بعدَ الهمزةِ بـ (أَوْ) فإن كانت همزةُ التسويةِ لم تجُزْ قياسُها ، وقد أولعَ الفقهاءُ وغيرُهم بأن يقولُوا: (سواءٌ كانَ كَذَا أو كَذَا)، وهو نظيرُ قولهم: (يجب أقلُّ الأمرَيْن مِنْ كذا أو كذا) ، والصوابُ العطفُ في الأولِ بـ (أَمْ) ، وفي الثانِي بالوَاوِ ، وفي (الصِّحَاح) تقولُ (سواءٌ على قمْت أو قعدَت) انتهى ، ولم يذكر غير ذلك، وهو سهو،وفي كامل الهذلي أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفراني: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة:٦] ، وهذا من الشذوذِ بمكانٍ ، وإن كانَتْ همزةُ الاستفهامِ جازَ قياسًا ، وكان الجوابُ بنَعَمْ أو بِلَاء وذلك أنهُ إذا قيلَ : أزيدٌ عندك أو عمرٌو ، فالمعنى :أأحدُهُما عندَكَ أَمْ لَا ؟ فإن أجبْت بالتعيينِ صَحَّ ، لأنه جوابٌ وزيادةٌ ...» [(١)] .

وقد صححَ اجتماعَ (أَوْ) وهمزةَ التسويةِ بعضُ المحققِينَ مخالفا في هذا رأيَ سيبويه ، ومنهم صاحبُ حاشيةِ الأميرِ على المغني عند الكلامِ على (أَم) المتصلةِ ، والعطف بالحرفِ (أَوْ) بعد الهمزةِ[(٢)] .

كما يذكر الخُضري : «وإذا تأملْت ذلك علمت أنه على إعرابِ الجمهورِ لا تصحُّ (أَوْ) مطلقًا لما فاتَها من التسويةِ ، إلا أن يدعى انسلاخها عن الأَحَد مثل (أم) [(٣)] .

أما على إعرابِ الرضى فتصحُّ مطلقًا فلا وجهَ لقصرِ جوازِها على عدمِ

(١) ابن هشام ، مغني اللبيب ١ ـ ٤٣ .
(٢) حاشية الأمير على المغني ١ ـ ٤٢ .
(٣) حاشية الخضري على ابن عقيل ٢ ـ ٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الهمزةِ ، إذِ المقدرُ كالثابتِ ، على أن التسويةَ مستفادةٌ من (سواءٍ) لا من الهمزة ، وإنما سُمِّيَتْ همزةُ التسويةِ ، لوقوعِهَا بعدَ ما يدلُّ عليها ، حيث يذكرُ : وقد ذكرنا أن كلَّ موضعٍ يجوزُ فيه (أَوْ) يجوز فيه (أَمْ) وبالعكس[(١)].

ولكن قرَار مجمعِ اللغةِ العربيةِ بالقاهرةِ الصادرِ في عام ١٩٦٩م يذكر تحت عنوان :

استعمال (سواء) مع (أم) ومع (أو) بالهمزة وبغيرها : «يجوزُ استعمالُ (أَمْ) مع الهمزة وبغيرِها وفاقًا جمهرةُ النحاة ، واستعمالُ (أَوْ) مع الهمزةِ وبغيرِها كذلك على نحو التعبيرات الآتية :

سواء عليَّ أحضرْت أَمْ غبْت .

سواء عليَّ حضرَت أَمْ غبْت .

سواء عليَّ أحضرْت أَوْ غِبْت .

سواء عليَّ حضَرْت أَوْ غِبْت .

والأكثرُ في الفصيحِ استعمالُ الهمزةِ و (أَمْ) في أسلوبِ (سواءِ) »[(٢)] .

ويبدو أن التعبيرَيْن الأخيرَيْن يخالفان ما ذهب إليه سيبويه حينما يذكر : «أمَّا (أَمْ) فلا يكون الكلام بها إلا استفهامًا ، ويقع الكلام بها في الاستفهام على وجهين : على معنى أيهما وأيهم ، وعلى أن يكون الاستفهامُ

(١) شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ٢ ـ ٣٧٧/ عباس حسن،النحو الوافي ٣ ـ ٥٨٧.
(٢) كتاب أصول اللغة ١٩٦٩ : ٢٢٧/ هامش النحو الوافي ٣ ـ ٥٨٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآخرُ منقطعًا من الأول .

وأما (أَوْ) فإنما يثبتُ بها بعضُ الأشياء ، وتكون في الخبرِ ، والاستفهامُ يدخل عليها على ذلك الحدِّ »[١] .

وعندما يسأل : ألقيت زيدًا أم عمرًا ؟ أو : أعندك زيدٌ أم عمرٌو ؟ فأنت مدع أن المسئولَ قد لقى أحدَهُما أو أن عنده أحدَهما ، إلا أن علمَك قد استوى فيهما لا تدْرِي أيهما هو ؟

والدليلُ على ذلك : أن المسئولَ لو قالَ : لا ، كان مُحَالًا ، ولكنك إذا قلْتَ ألقيت زيدًا أو عمرًا أو خالدًا ، وأعندك زيدٌ أو خالدٌ أَو عمرٌو ، كأنك قلت: أعندك أحدٌ من هؤلاءِ ، وذلك أنك لمْ تدعِ أن أحدًا منهم ثَمَّ، والدليل على ذلك أنه لو أجابَكَ ، فقال : لا ، كان صحيحًا[٢] .

ومنه يتبينُ أن الفرقَ بين استعمالِ (أَمْ) واستعمالِ (أَوْ) بعد همزةِ الاستفهامِ إنما يعودُ إلى أنَّ السؤالَ بـ (أَمْ) سؤالٌ عن نسبِ الفعلِ أو الصفةِ أو الحدثِ إلى أحدِ شيْئَيْن أو أشياء ، وهو حادث من أيهما أو أيهم بالضرورةِ ، ولكن السائلَ لا يعرفُ تحديدَ هذه النسبةِ إلى أيٍّ ممن سُئِلَ عَنْهم ، فهو في علمه سواء .

أما (أَوْ) بعدَ الاستفهامِ سؤالٌ عن صحةِ وقوعِ ونسبةِ الفعلِ أو الصفةِ أو الحدثِ إلى أيٍّ مِنَ المسئولِ عنهم ، وبذلك فإن السائلَ لا يكونُ متأكدًا من هذه النسبةِ ، فيصح للمجيبُ أن ينفيَ هذه النسبةَ عن كلِّ مَنْ دَخَلُوا

(١) الكتاب ٣ـ ١٦٩ .
(٢) ارجع إلى : الكتاب ٣ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ١٧٩/ المقتضب ٣ـ ٢٨٦ وما بعدها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في السؤالِ .

ويؤكدُ سيبويه هذه الفكرةَ بين استعمالِ (أَمْ) واستعمالِ (أَوْ) في قولِه : «ومثلُ ذلك : أتضربُ زيدًا أو تضرِبُ عمرًا أو تضربُ خَالِدًا ، إذا أردت هل يكونُ شيءٌ من ضربِ واحدٍ من هؤلاءِ ، وإن أردْتَ أيَّ ضربِ هؤلاءِ يَكُونُ ، قُلْتَ : أَمْ»[(١)] .

كما يذكرُ في موضعٍ آخر: «وتقول : ما أدْرِي هل تَأْتِينَا أو تحدِّثُنا ، وليْتَ شعري هل تأتينا أو تحدثنا ، فهل ههنا بمنزلَتِها في الاستفهامِ إذا قلْتَ : هل تأتِينَا ، وإنما أدخلْتَ هَلْ ههنا لأنك تقولُ : أعْلِمْنِي ، كما أردْتَ ذلك حين قلت : هل تأتينا أَوْ تحدثنا .....»[(٢)] .

وهو يوضحُ الفرقَ الدلاليَّ بين (أَمْ) و(أَوْ) واستعمالِـهِمَا في الروايتَيْن اللَّتَيْن سمعتا في قول زفر بن الحارث :

أبَا مَالِكٍ هل لُـمْتَنِي مُذْ حَضَضْتَنِي ... عَلَى القَتْلِ أَمْ هَـلْ لَامَنِـي لـك لائِـمُ

يذكر : «فأما الذينَ قَالُوا : أم هل لامَنِي لك لائمٌ ، فإنما قالوه على أنه أدركَهُ الظنُّ بعدما مَضَى صدرُ حديثِه .

وأما الذين قالُوا : أَوْ هَلْ ، فإنما جعلُوهُ كَلَامًا واحدًا»[(٢)] .

ومما سبق ندركُ صحةَ الفكرةِ المستنتجةِ من أقوالِ سيبويه في الفرقِ

(١) سيبويه ، الكتاب ٣ ـ ١٨١ .
(٢) السابق ٣ ـ ١٧٧ .
(٣) الموضع السابق .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدلالي في استعمال كل من (أَوْ) و(أَمْ) ، حيث تكون (أَمْ) فيما ثبت أحدُهُما أو أحدُها ، وأما (أَوْ) فتكونُ فيما كان واحدًا في السؤالِ عنهُ في عدمِ ثبوتِه جميعه[١] .

والتركيبُ الاستفهامي بعد (سواءٍ) يعطى معنى التسويةِ ، فإذا ابتدأْتَ بسواء فإنك تخبر أن الأمرَيْن عندك واحدٌ ، ولهذا فإن ما يأتي بعدَها من استفهامٍ يجبُ أن يكونَ أحدُ طرفَيْه واقعًا لدى السائِلِ ، وهو المتحدثُ بتركيبِ سواءٍ ، ولا يكون ذلك إلا من خلالِ استعمالِ (أَمْ) ، لأن استعمالَ (أَوْ) يدلُّ على أنه لا يعلمُ أَحَدَثَ الفعلُ أو الصفةُ أو الحدثُ المسئولُ عن نسبتِهِ إلى أحدٍ مِنْ المسئولِ عنهم أَمْ لَا ، وبهذا ينتفي الاستواءُ ومعناه ، ولا يصح استخدامُه،لأنه استواءٌ على غيرِ معنى واقعٍ لدى المتحدثِ بالاستواءِ.

ويذكر سيبويه في المثَلَيْن : أزيدًا عندك أَمْ عمرٌو ، وأزيدًا لقيتَ أم بشرًا «فأنت الآن مدعٍ أن عنده أحدَهُما ، لأنك إذا قلْت : أيهما عندَك ، وأيهما لقيت ، فأنت مدعٍ أن المسئولَ قد لَقِيَ أحدَهُما أو أن عنده أحدَهُما ، إلا أن علمَك قد استوى فيهما ، لا تدري أيهما هو»[٢] .

فإذا أُدْخِلَتْ (سواءً) على مثلِ هذَيْن التركيبَيْن السابقَيْن ، يمثل ما فُهِمَ منهما ، فإن المفهومَ الجديدَ يكونُ فيه استواءً طرفي (أَمْ) في المعنى المخبرِ به لدى المتحدثِ .

ويخرج التركيبُ من دائرةِ الاستخبارِ إلى دائرةِ الإخبارِ ، حيث يتطلبُ

(١) ارجع إلى : ابن هشام ، شرح جمل الزجاجي ٤٠٩ .
(٢) السابق ٣ ـ ١٦٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاستخبارُ تحديدَ أحدِ طرفي (أَمْ) بالضرورةِ ، أما الإخبارُ فإنه يعطي مفهومَ عَدمِ الاحتفاءِ بهذا التحديدِ لأحدِ الطرفَيْن ، ويلغى هذا التحديد ، مما يدلُّ على استواءِ الطرفَيْن لدى المتحدثِ .

فإذا كان الاستخبارُ بمثلِ هذا التركيبِ ينتهي إلى تعيين ؛ فإن الإخبارَ باستعمالِ (سواء) ينتهي إلى عدمِ تعيينٍ .

وعلينا أن نتوقعَ حدوث أحدِ طرفَيْ (سواء) ، أو أحدِ أطرافِها ، وإلا لما كان لاستعمالِـها في مثل تراكيبِها باستعمالِ (أَمْ) القيمةُ الدلاليةُ المفهومةُ منها ، ذلك أنها مع استعمالِ (أَمْ) وثبوتِ أحدِ الطرفَيْن ، فيبين المتحدثُ عدمَ الاحتفاءِ بما هو جائزٌ وقوعُه من الطرفَيْن باستعمال (سواءٍ) ، ويكون الطرفَانِ اللذان لا يحتفي بأحدِهِمَا متناقِضَيْن .

أما في حالِ استعمالِ (أَوْ) فإن السؤالَ يكونُ عن الجَميع المذكورين في صيغة الاستعمالِ ، وصحةِ نسبة الحدثِ إلى أحدهم أم لا ؟

ولهذا فإنه يجوزُ الإجابةُ بأداة النفي (لا) ، كما أنه يصحُّ للمخاطبِ حين استعمالِ (سواءٍ) مع استعمال (أَوْ) ألا يحفلَ بكلامِ المتحدثِ لأن أحدًا أو طرفًا من المسئولِ عنهُ لم يكن له ثبوتٌ في نسبة المعنى إليه .

ولهذا لا تصحُّ (سواءٌ) مع (أَوْ) .

وقد وضحنا مفهوم استعمال (أَوْ) مع (سواءٍ) في حال سبْقِ (أَوْ) ، وتأخير (سواء) ، وتضمُّن طرفَي (أَوْ) معنى الشرطِ .

حيثُ يكونُ المعنى الذي يترتبُ عليه طرفا (أو) ثابتًا واقعًا لا محالة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويوضح لنا سيبويه الفرقَ بين استخدامِ (أو) واستخدامِ (أم) بطريقٍ آخر في قوله: «تقول: ألقيت زيدًا أو عمرًا أو خالدًا، وأعندك زيد أو خالد أو عمرو ، كأنك قلت : أعندك أحدٌ من هؤلاءِ ، وذلك أنك لم تدع أن أحدًا منهم ثَمَّ .....

ثم يذكر : ولو قلت : أزيدا لقيت أو عمرًا أو خالدًا ، وأزيدُ عندك أو عمرٌو كان في هذا الجواز والحسن بمنزلة تأخيرِ الاسمِ إذا أردْتَ معنى أيهما.

فإذا قلت : أزيدٌ أفضلُ أم عمرٌو لم يجز ههنا إلا (أم) ، لأنك إنما تسألُ عن أفضلِهما ، ولستَ تسأَلُ عن صاحبِ الفَضْلِ ...»[(١)] .

ومنه يتضحُ أنَّ استعمالَ (أَمْ) ضرورةٌ هنا ، لأن المعنَى هنا ثابتٌ لأحدِهما ، وتسألُ عن نسبَتِهِ إلى أيهما .

ويدللُ لى ذلك بأنه لا يصحُّ الوقوفُ على أفضل ، حتى تكملَ بـ(أَمْ) وما بعدها . ولهذا فإنه يقولُ في موضعٍ آخر : «فأما إذا قلت : ما أبالي أضرَبْت زيدًا أم عمرًا ، فلا يكون هنا إلا (أَمْ) ، لأنه لا يجوز لك السكوتُ على أَوّلِ الاسمَيْن»[(٢)] .

ويوضح المالقي التفرقةَ بين (أَمْ) و(أَوْ) إذا وقع قبلَها الاستفهامُ بأن (أو) إذا وقع قبلها الاستفهامَ فيصحُّ أن يكونَ بالهمزةِ وبغيرِها من أَدواتِ

(١) الكتاب ٣ـ ١٧٩ .
(٢) السابق ٣ـ ١٧٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاستفهامِ ، بخلاف (أَمْ) عند بعضِهِم ، وأنها لا تتقَدَّرُ معها إذا كانت بـ(أي) ، كما تقدَّرَتْ مع (أَمْ) ، فإن جوابَها يكونُ : نَعْمَ أَوْلَا ، بخلافِ (أَمْ) ، وإنما ذلك لأنها عطفَتِ استفهامًا على استفهامٍ ، فكأن كلُّ واحدٍ منهما قائمٌ بنفسه بخلافِ (أم) ، فإنها مع ما قبلَهَا مقدرةٌ بـ(أي) ، فلذلك لا يكون جوابُها إلا أحدَ الشيئَيْن أو الأشياءِ[١] .

ومما يذكره الرضى من التفرقة بين (أم) المنقطعةِ و(أم) المتصلةِ ، أن المتصلةَ يجب أن يستفهمَ بها عن شيئَيْن أو أشياء ثابت أحدُها أو أحدُهما عند المتكلمِ لطلبِ التعيين ، لأنها مع الهمزةِ بمعنى (أي) ، ويستفهم بـ(أي) عن التعيينِ ، فيكون المعطوفُ مع المعطوفِ عليه بتقدير استفهام واحد ، لأن المجموع بمعنى (أي) فجوابُه بالتعيين[٢] .

ويشرحُ لنا أبو علي الفارسي بعضَ ما غمض من أمثلةِ سيبويه في استخدام كلٍّ من (أَمْ) و(أَوْ) مع همزةِ الاستفهامِ في قوله : «وإذا قلت : ما أدري أَقَامَ أو قَعَدَ ، فكأنك قد علمتَ أحدَ هذيْنِ كانَ منه ، ونسيت لطول العهد .

وإذا قلت: ما أدري أقامَ أَوْ قَعَدَ ، وما أدري أَأَذَّنَ أو أَقَامَ ، فجاز دخول (أو) ها هنا ، وإن كان قد تحقَّقَ منه فعلا ، لأنه جعله بمنزلة ما لَمْ يكُنْ ، أي : لم يفعل ما يسدُّ مسدَّ القيامِ ، ولا ما يسدُّ مسدَّ القعودِ ، فلذلك أدخلَ (أَوْ) ، أي لم يفعلْ ما يغني عن كلٍّ واحدٍ من هذيْن الفعلينِ ، وكذلك : ما

(١) المالقي ، رصف المباني ٢١٢ .
(٢) شرح الرضى على الكافية ٢ ـ ٣٧٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أدري أأذَّنَ أو أَقَامَ ، أي : لم يفعلْ فعلًا يسدُّ مسدَّ الأَذَانِ ، ولا ما يقوم مقامه ..... وكان بمنزلة ما لَمْ يَكُنْ»[١] .

ويبين ابن جنى الفرقَ بين دلالةِ التركيبَيْن السابقَيْن بأنه في حالِ استخدامِ (أَوْ) فإنه لا يُعْتَدُّ بأحدِ معنى الجملتين ، لأنه لم يوفِّ ذلك حقَّه ، أما إذا استعملت (أم) فإنه يثبت أحدهما لا محالة[٢] .

وعليهِ فإنني أرى أنَّ استعمالَ (أَمْ) بعدَ (سواءٍ) وهمزةِ التسويةِ ظاهرةً أوْ مقدرةً ضرورةٌ ؛ ومن خصائصِ هذا التركيبِ ، حتى يفيدَ المدلولَ الذي وَضِعَ من أجلِهِ في اللغةِ ، ولا تؤدي (أَوْ) هذا المدلولَ ، إلا إذا تأخرَتْ (سواءٌ) ، وكان التركيب على الخصائِصِ التي ذكرناها سابقا .

وهل لي أن أضيفَ في نهايةِ هذا التحليلِ التركيبي إشارة إلى ما وجدتُه من استعمالٍ لتركيبٍ لغوي في كتابِ سيبويه يماثل تركيبَ (سواء) إضافة إلى: (ما أبالي) .. إلى غيره التي ذكرناها سابقا، وهي مسموعة عن العرب ، لكن هذا التركيب لم يذكر على أنه مسموع من العرب ولكنه من كلام سيبويه في شرحه للقاعدة حيث يذكر[٣] :

«لا عليك أقدَّمْتَ أم أَخَّرْت» .

«ولا عليك أقدَّمْتَ الأَخَ أم أَخَّرْتَه» .

فجملة «لا عليك» تتساوى دلاليا مع «سواء عليك» .

---

(١) المسائل المنثورة ١٩٦ .
(٢) الخصائص ٢ ـ ١٦٩ .
(٣) الكتاب ١ ـ ٤٧ ـ ١٠٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يذكر أبو حَيَّان في تذكرته أن «الجلوليَّ له نكتٌ على إيضاحِ الفارسي منها : قال السيرافي : (أَوْ) للإباحةِ معناها معنى واوِ العطفِ ، يريد أنه شبه التسوية للإباحة لما بينهما من المضارعةِ ، ولهذا قالوا : سواء على قيامُك أو قعودُك وسواء على قيامُك وُقعودك»[(١)] .

ويلحظ أنَّ (أَوْ) استخدمتْ في هذا التركيبِ مع المصدرِ الصريحِ الذي ناب منابَ الجملةِ فيما سبقَ من تراكيبَ لـ(سواءٍ) ، وذلك للربطِ اللفظي بين (أَوْ) حالَ معنى الإباحةِ وبين (الواو) .

وقد أدركنا سابقًا أنه حالَ إحلالِ المصدرِ الصريحِ محلَّ الجملةِ فإننا نحل الواو محلَّ (أَمْ) ، فيقال : سواء عليهم الإنذارُ وعدمُه ..... وهكذا .

أما الأحوالُ الإعرابيةُ لسواء في هذا التركيبِ ، وفي هذا الاستخدام اللغوي لها ؛ فقد فصلتُها أثناءَ تحليلِ التراكيبِ ، وهي ـ في إيجازٍ :

* أن تكون (سواء) خبرًا مقدمًا ، وما بعده من طرفي الاستواء اللذين في حكم المفرد مبتدأ مؤخرا ، فالجملةُ بعد سواءٍ تؤول بمصدرٍ ، وجعلوه من مواضع سبك الجملة بلا سابك[(٢)] .

* أن تكون (سواء) هي المبتدأ ، وما بعدها هو الخبر .

* أن تكون (سواء) المبتدأ ، وما بعده فاعل سد مسد الخبر .

«وفي كونِ الجملةِ تقع فاعلةً خلاف : مذهبُ جمهورِ البصريين لا يكون

---

(١) تذكرة النجاة ١٠٩ .

(٢) ارجع إلى : حاشية الخضري على ابن عقيل ٢ ـ ٦٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلا اسمًا أو ما هو في تقديره ، ومذهب هشام وثعلب وجماعة من الكوفيين جوازُ كونِ الجملةِ تكون فاعلة ، وأجازوا : يعجبني يقومُ زيد ، وظهر لي أقام زيدٌ أم عمرو ، أي : قيام أحدهما .

ومذهب الفراء وجماعة أنه إن كانت الجملةُ معمولةً لفعل من أفعالِ القلوب وعلق عنها جاز أن تقع في موضعِ الفاعلِ أو المفعولِ الذي لم يسمَّ فاعلُه ، وإلَّا فلَا ... [١] .

* أو أنها خبرٌ مقدمٌ على التأويلِ السابق .

يذكر سيبويه :«ومع ذلك أيضا أن الابتداءَ يحسُنُ فيهن ، تقول : خيرٌ منك زيدٌ ، وأبو عشرة زيد ، وسواء عليه الخير والشر ، ولا يحسن الابتداء في قولك : حسن زيد .

فلما جاءت مضارعةً للأسماءِ التي لا تكونُ صفةَ وقويت في الابتداء كان الوجه فيها عندهم الرفعُ ..... [٢] .

* قد تعرب (سواء) خبرا لمبتدأٍ محذوفٍ ، والتقدير : الأمرَانِ سواءٌ ، والهمزة بمعنى (إنِ) الشرطية ، وجملة : الأمران سواء دالة على جزاء الشرط ، والوجه كما يذكر الرضى : أن يكون سواءٌ خبر مبتدأ محذوف سادٍّ مسدَّ جوابِ الشرط [٣] .

---

(١) أبو حيان ، البحر المحيط ١ ـ ٤٦ ـ ٤٧/ وانظر : التسهيل ٧٧/ شرح الشذور ١٦٧/ الهمع ١ ـ ١٦٤ .
(٢) سيبويه ، الكتاب ٢ ـ ٢٥ ـ ٢٦ .
(٣) انظر : شرح الرضى على الكافية ٢ ـ ٣٧٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والواقع أن الاستواءَ فيما سبقَ هو مفتتحُ الحديثِ ومبتدؤه ، فهو المحورُ الذي يدورُ حولَه الحديثُ ، فما بعده إخبارٌ عنه ، والاستواءُ لابد أن يكونَ بين أمرَيْن متناقضَيْن ، فالمتحدثُ بسواء يكون قد نفد بالًا ، أو لمس عدمَ الجدوى ، فيسوى بين المعنيَيْن المتناقضَيْن ، وهذا المعنى يفهم من مدلولِ هذا التركيب .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

هذا البحثُ «(سواء) في القرآن الكريم ، دراسة لغوية» انقسم إلى ثلاثةِ أقسامٍ :

القسم الأول : تضمن دراسةَ التراكيب التي وردت فيها (سواء) في القرآنِ الكريمِ ، مع تحليلِها لغويا ، رابطًا بين الجانب الدلالي والجانب التركيبي .

وقد تضمن تسعةَ أنماطٍ لاستعمال (سواء) تركيبيا ، من : حرف جر يسبق (سواء) المجردة ، و(سواء) مضاف إلى اسم ظاهر مضاف إليها ، و(سواء) مجردة وقعت خبرا ، و(سواء) مجردة منونة بعدها شبه جملة ، و(سواء) نعت ، ثم متعلق بها يتكون من شبهي جملة مرتبطين بحرف العطف (الواو)، و(سواء) مجردة منونة واسمين مبهمين متعاطفين بالواو، و(سواء) وجملتين متناقضتين الأولى منهما مسبوقة بهمزة الاستفهام ، وبينهما (أم) ، والجملتان كانتا فعليتين فعلهما ماض ، عدا أحد المواضع الستة لهذا التركيب حيث كانت إحدى الجملتين اسمية خبرها مشتق ، وجملتين فعليتين متناقضتين متعاطفتين بـ(أو) ثم (سواء) بعدهما .

وقد كون هذه الأنماطَ سبعةٌ وعشرون موضعا .

القسم الثاني : يتضمن الخصائصَ الصرفيةَ والدلاليةَ لـ(سواء) ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد درس فيه جذر (سواء) ، وهو السين والواو والياء ، ثم ألفاظ الجِذْرِ في القرآنِ الكريمِ، وهي: (سواء) وقد وردت بمعنى الاستواء أو التسوية، وبمعنى الوسط ، والعدل ، والتام سَوَّى (بتضعيف الواو) ، واستوى ، وسُوَّى (بضم ففتح منون) ، والسِّىّ(بكسر فتضعيف) ، وسوى (بكسر ففتح) ، والمساواة .

وقد لمسنا فيها جميعا معنى الاستواءِ والمساواة . كما درس فيه الانتماء الاسمى لها ، حيث يختلف النحاة فيما بينهم بين جعلها مصدرا من الفعل: استوى ، أو سوَّى ، وهي ـ حينئذ ـ اسم مصدر ، ويوصف بها كما يوصف بالمصادرِ .

ويجعلها بعضُهم اسمَ فاعلٍ بمعنى : مستوٍ .

ودرس فيه أصولُـها الجذرية ، والاتفاق في السينِ والواو ، والخلافُ قائمٌ في ثالثِ أصولها ، إلا أن الوجهَ الأرجحَ هو الياءُ ، وقد رأى بعضُهم أنها واو نظرا لقراءة (سواء) بتخفيفِ الهمزة ، وفي كلا الحالين فإن وزنَ (سواء) هو (فعال) ، حيث الهمزةُ منقلبةٌ عن أصلٍ ، وهو الياءُ ـ على الوجهِ الأرجحِ ، أو الواوُ ، وهو لامُ الكلمةِ .

وتلزمُ (سواء) الإفرادَ ، حيث إنها تجرى إجراءَ المصدرِ ، وقد يستغنى بالمثنَّى (سِيّان) مثنى (سِىّ) عن مثنى (سَوَاء) ، فقالوا : هما سِيَّان .

ويذكرُ عن بعضهم تثنيةُ (سواء) ، وبالتالي جمعُه ، فيقال : سواءان وسواء ، وسواء وأسْوَاء وسَوَاسِيَةٌ على غيرِ قياس .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولم تأت (سواءٌ) في القرآنِ الكريمِ إلَّا وقد لَزِمَت الإفرادَ ، وقد اتضحَ ذلك حالَ إخبارِهَا عن جمع .

القسم الثالث : الخصائص التركيبية :

حيث اتضح أن طبيعةَ التركيبِ الذي تردُ فيه (سواء) يختلفُ باختلافِ: مدلولِـها في التركيبِ ، واستعمالِـها اللغوي ، وطبيعتِها الدلالية .

أما من حيث مدلولُـها فقد اتضحَ في القسمِ الثاني .

وأما من حيثُ استعمالُـها اللغويُّ في التركيبِ فيمكنُ أن يقدرَ بالظرفِ، والاسمِ المصدرِ ، والصفةِ ، والفعلِ ، أو ما فيه معنى الفعل .

أما الطبيعةُ الدلاليةُ لكلمةِ (سواء) فتنحصرُ في معنى المساواة أو التساوي بين طرفين غالبا ، فإذا استدعَتْهما فإن التركيبَ تختلفُ طبيعةُ نظمِه باختلاف موضعِ ذكرها .

أما استعمالُـها ظرفًا ففي سبعةِ مواضعَ تتنوعُ بين الجرِّ بحرفِ الجر ، وبين النصبِ ، ويكون النصبُ ـ حينئذ ـ على نزعِ الخافض .

واستعمالُـها مصدرًا في موضعَيْن كانت فيهما مجرورةَ بحرفِ الجر .

واستعمالُـها صفةً في تسعةِ مواضعَ تَنَوَّعَ الموقعُ الإعرابي لـ(سواء) فيها بين الخبر والصفة والحال ، وقد يخرج إلى الابتداء تبعا للخلاف القائم بين النحاة .

أما استعمالُـها فعلًا ، أو ما فيه معنى الفعلِ فقد كان في تسعةِ مواضعَ ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

انتظمها ثلاثةُ أنماطٍ ، منها موضعان استدعت (سواء) فيهما اسمَيْن متناقضَيْن متعاطفين بالواو ، وخمسةُ مواضعَ استدعت فيها جملتَيْن فعليتَيْن فعلهُما ماضٍ متناقضتَيْن متعاطفتَيْن بـ(أَمْ) ، والأولى منهما مصدَّرَةٌ بهمزةِ الاستفهام .

وموضع واحد على النظمِ السابق ذاتِه إلا أن الجملةَ المتناقضةَ الثانيةَ اسميةٌ خبرها صفةٌ مشتقةٌ ، فهي بمثابة الجملةِ الحَدثية .

وموضعٌ واحدٌ سبقت الجملتان المتناقضتان فيه (سواءً)، وكانتا أمريَّتَيْن بلا همزةِ استفهامٍ ، وتعاطفتا باستخدام (أو) .

وقد تنوع التقديرُ الإعرابي لـ(سواءٍ) في هذه المواضعِ بين الخبرِ المقدَّمِ وما بعدها مبتدأ مؤخر ، أو العكس فيهما ، أو أنها مبتدأ ، وما بعدها فاعل سدَّ مسدّ الخبر ، أو أنها خبرٌ مقدمٌ على هذا التأويل ، أو أنها خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المصادر والمراجع

* ابن الأنباري: (أبو بكر البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد)، أسرار العربية ، تحقيق : محمد بهجة العطار ، دمشق ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.

* الأخفش : أبو الحسن سعيد بن مسعدة (الأخفش الأوسط) . معاني القرآن ، تحقيق : د/ فائز فارس : ١٩٧٩م .

* الأزهري : خالد بن عبد الله ، شرح التصريح على التوضيح ، المطبعة الأزهرية : ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م .

* الأمير : حاشيته على المغني ، القاهرة ١٣٢٨هـ .

* ابن الباذش : أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري . الإقناع في القراءات السبع ، تحقيق د/ عبد المجيد قطامش ، مطبوعات جامة أم القرى ١٤٠٣هـ .

* البغدادي ، عبد القادر ، خزانة الأدب ، بولاق ١٢٩٩هـ .

* أبو البقاء : أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، الكليات . تحقيق د/ عدنان دروس وآخر .

* ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، دمشق ، دار التوفيق ١٣٤٥هـ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، بيروت .

* المنصف شرح تصريف المازني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وآخرين ، الحلبي ١٩٤٥هـ .

* اللمع في العربية ، تحقيق د. حسين محمد شرف ، القاهرة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

* الجوهري ، إسماعيل بن محمد ، الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

* أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، السعادة ١٣٢٨ .

* تذكرة النحاة ، تحقيق د. عفيف عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

* الخضري ، الشيخ محمد الدمياطي ، حاشيته على ابن عقيل ، القاهرة ١٣٢٠ .

* الداني ، الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد ، التيسير في القراءات السبع ، تحقيق أوتو برتزل ، ط ثالثة ١٩٨٥م .

* الدمياطي ، أحمد ، إتحاف فضلاء البشر ، المطبعة اليمنية ، مصر ١٣١٧هـ .

* الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد . المفردات في

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت .

* الزبيدي ، أبو بكر الزبيدي الأشبيلي ، كتاب الواضح ، تحقيق د. عبد الكريم .

* ابن أبي الربيع ، عبد الله بن أحمد بن عبيد الله . البسيط في شرح جمل الزجاجي ، تحقيق د/ عياد الثبيتي ، بيروت ١٤٠٧هـ .

* الرماني ، معاني الحروف ، تحقيق د/ عبد الفتاح شلبي ، القاهرة ١٩٧٣م .

* الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ، معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق د/ عبد الجليل شلبي ، عالم الكتب : ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

* الزمخشري : جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد . الكشاف عن حقائق التنزيل،تحقيق محمد الصادق قمحاوي،الحلبي،مصر ١٩٧٢م.

* السجستاني ، أبو بكر ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، القاهرة ١٩٨٠ .

* السلسيلي ، أبو عبد الله محمد بن عيسى ، شفاء العليل في إيضاح التسهيل ، تحقيق د. عبد الله الحسيني ، الفيصلية ، مكة المكرمة ١٩٨٦م .

* سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر . الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ٦٦ ـ ١٩٧٥م .

* السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الشافعي . همع الهوامع ، بيروت .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد . فتح القدير ، دار الفكر .

* الصيمري، أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق ، التبصرة والتذكرة، تحقيق د. فتحي علي الدين ، مطبوعات جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ .

* الطبري ، تفسيره للقرآن الكريم ، بولاق ١٣٢٩هـ .

* عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف ط٤ ١٩٧٦م .

* أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التيمي ، مجاز القرآن ، تحقيق/ محمد فؤاد سزكين ، الخانجي ، القاهرة ١٩٥٤ .

* ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، شرحه على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، السعادة ، القاهرة ١٩٥٨م . المساعد على تسهيل الفوائد ، تحقيق د. محمد كامل بركات ، مطبوعات جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٠هـ .

* العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، مطبعة التقدم بمصر.

* أبو علي الفارسي(أبو علي الحسن بن أحمد) ، المسائل المنثورة ، تحقيق مصطفى الحدري ، دمشق ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

* المسائل العضديات ، تحقيق : شيخ الراشد ، دمشق ١٩٨٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* ابن العماد ، محمد بن محمد علي ، كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ، تحقيق د/ فؤاد عبد المنعم أحمد ، الإسكندرية ١٩٧٧ .

* ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، الخانجي ، القاهرة :١٩٨١م .

* الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ، معاني القرآن ، ط١ ، ١٩٥٥ .

* القرطبي ، تفسيره الجامع لأحكام القرآن .

* ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم .

* تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٣ ، دار التراث .

* تفسير غريب القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، بيروت ١٩٧٨ .

* القيسي ، مكي بن أبي طالب ، مشكل إعراب القرآن ، تحقيق ياسين محمد السواس ، دمشق ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

* المالقي ، أحمد بن عبد النور ، رصف المباني في شرح حروف المعاني ، تحقيق د. أحمد الخراط ، دمشق ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

* ابن مالك ، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله .. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق د/ محمد كامل بركات ، القاهرة ١٩٦٨ .

* مقاتل بن سليمان البلخي ، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، تحقيق / د . عبد الله شحاته ، القاهرة ١٩٧٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب ، بولاق ١٣٠٠ ـ ١٣٠٧هـ .

* المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد . المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

* النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، إعراب القرآن ، تحقيق د/ زهير غازي زاهد ، العاني بغداد ، وعالم الكتب : ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م .

* النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود) ، تفسيره القرآن الكريم ، القاهرة ، عيسى البابي الحلبي .

* ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد .

* مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محيي الدين ، مطبعة المدني ١٣٨٧هـ .

* شرح جمل الزجاجي ، تحقيق د . علي محسن عيسى ، عالم الكتب ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

* يحيى بن سلام ، التصاريف ، تحقيق هند شلبي ، تونس ١٩٧٩ .

* ابن يعيش،موفق الدين بن يعيش،شرح المفصل، القاهرة ، وبيروت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣٣٧
القسم الأول : التحليل اللغوي	٣٤١
التحليل اللغوي	٣٤٣
جار + سواء (مجردة)	٣٤٣
سواء + اسم ظاهر أضيف إليها	٣٤٥
سواء مجردة خبر	٣٥١
سواء (مجردة منونة) + شبه جملة	٣٥٤
سواء (نعت) + متعلق بسواء (شبه جملة + و + شبه جملة) .	٣٥٦
(سواء) مجردة منونة + شبه جملة + اسمان مبهمان بينهما واو العطف	٣٥٧
سواء (مجردة) + اسمان مفصولان بالواو	٣٥٩
سواء يتعلق بها شبه جملة + أ + جملة مثبتة + أم + جملة منفية.	٣٦٥
القسم الثاني : الخصائص الصرفية والدلالية	٣٨٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جذر (سواء) ٣٨٩
المقابل الدلالي ٣٩٠
سواء ٣٩٠
السَّوِيّ ٣٩٩
سَوَّى ٣٩٩
استَوَى ٣٩٩
سُوَّى ٤٠٠
السيّ ٤٠١
سِوَى ٤٠١
المساواة ٤٠٢
انتماؤها الاسمى ٤٠٣
أصولها الجذرية ٤٠٤
تلزم الإفراد ٤٠٥
القسم الثالث :الخصائص التركيبية ٤٠٧
استعمالها ظرفا ٤١٠
استعمالها اسما مصدر إلا غير ٤١٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

استعمالها صفة ٤١٦
استعمالها فعلا أو ما فيه معناه ٤١٧
الخاتمة ٤٣٥
المصادر ٤٣٩
الفهرس ٤٤٥